أجاثا كرستي
القاتل الخفي
TIMES
WOMEN
Aviation
President
Finest
English
Try it once!
Jockey
CIGARETTE
Lord
Pill
...تبة الثقافية
بيروت - لبنان

القاتل الخفي

أجاثا كريستي

القاتل الخفي

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

شخصيات الرواية

المسيو بوارو : بطل روايات أجاثا كريستي .

الكابتن هاستنج : صديق بوارو وزميله في الكشف عن الجرائم الغامضة .

المفتش كروم : أحد رجال اسكتلانديارد .

المفتش جاب : أحد رجال اسكتلانديارد .

الدكتور ثومبسون : طبيب في إدارة اسكتلانديارد .

المسز آسكر : سيدة عجوز تبيع الحلوى والسجائر .

المستر آسكر : زوج المسز آسكر .

ماري دراور : ابنة اخت المسز آسكر

بيتي بارنارد : فتاة تعمل مضيفة في مقهى الجنجركات .

ميجان بارنارد : أخت بيتي بارنارد .

دونالد فريزر : خطيب بيتي برنارد .

السير سيرميكال كلارك : طبيب متقاعد موفور الثراء .

فرانكلين كلارك : شقيق السير سيرميكال كلارك .

تورا جراي : سكرتيرة السير سيرميكال كلارك .

الكسندر بونابرت سوست : بائع جوارب متجول .

المسز ماربري : صاحبة الغرفة المفروشة التي يقيم فيها أ. ب سوست .

* * *

الفصل الاول

الرسالة

حدث هذا في شهر يونيو عام ١٩٣٥ عندما عدت الى انجلترا من مزرعتي في أميركا الجنوبية ، لأقضي في ربوع الوطن ستة أشهر .. أنجز خلالها بعض المهام الضرورية ، بعد ان تركت زوجتي وحدها تدير شؤون المزرعة .

ولست بحاجة لأن أذكر ان اول شيء قمت به بعد عودتي الى انجلترا ، هو مبادرتي بزيارة صديقي هيركيول بوارو .

وقد وجدته يقيم في مسكن أنيق من أحدث المساكن بلندن ولا عجب في هذا ، إذ كان أحد المساكن التي تضمها عمارات نيوهافن في أحد الأحيـاء الراقيـة .

ودار الحديث طويلاً بيننا عن أيامنا السابقة في التعاون على كشف غموض الجرائم المعقدة ، وعن الشيب الذي وخط شعر كل منا ، وعن أحسن أنواع صبغات الشعر التي تجعله يبدو طبيعياً لامعاً ، وعن صلعة بوارو التي ستوفر عليه كمية كبيرة من الصبغة !

وفي اثناء الحديث عن الجريمة والجرائم ، قال لي بوارو فجأة :

- هل تعرف يا هاستنج انني اعتبرك تميمة حظ ؟.

- أحقاً ؟ و كيف ذلك ؟

ولم يرد بوارو على سؤالي مباشرة ، وانما استطرد يقول :

– بمجرد أن علمت انك في الطريق الى هنا ، قلت لنفسي : لا بد وأن شيئاً سوف يحدث ، واننا سنمضي معاً – كأيامنا السابقة – للايقـــاع بالجرم في شباك العدالة .

وهز كتفيه وأردف قائلاً :

– واذا صحت نبوءتي ، فلا ريب أن ما سوف يحدث سيكون شيئاً ضخماً ، مثيراً ، جديراً بمثل هذه النبوءة ..

فهتفت قائلاً :

– أقسم يا بوارو أن من يسمعك ، يحسبك تتحدث عن حفلة ضخمة تنوي اقامتها في فندق ريتز .

– آه يا صديقي .. انني اؤمن بالحظ . أؤمن بالقدر . وأشعر ان الأقدار قد دفعت بك الينا في هذه الأيام لتكون بجانبي ولتجنبني ارتكاب الأخطاء التي لا تغتفر .

– وماذا تعني بالأخطاء التي لا تغتفر ، يا بوارو ؟

– هي اهمال ملاحظة الأشياء الواضحة العادية .

– حسناً .. حسناً . وهل هذا الحدث الضخم على وشك الوقوع ؟

فهز بوارو كتفيه ، وقطب جبينه مفكراً ، ثم أومأ برأسه كأنما أستقر على شيء ، ثم نهض وتناول من خزانة محفوظاته المرتبة الأنيقة خطاباً مفتوحاً، وتقدم به نحوي في تردد ، ثم قال وهو يسلمه إلي :

– اقرأ هذا الخطاب يا عزيزي ، وأخبرني برأيك فيه .

فتناولت الرسالة من يده ، ووجدت انها مكتوبة على الآلة الكاتبة وعلى ورق رسائل سميك بعض الشيء ، وكانت كما يلي :

« المستر هير كيول بوارو ..

« انك تظن نفسك عبقرياً في الكشف عن غموض الجرائم المعقدة التي

يعجز عن كشفها رجال المباحث الانكليز الاغبياء . حسناً أيها العبقري بوارو ، دعنا نرى الى أي حد تبلغ مهارتك . ولعلك ستجد ان هذه الجريمة أعلى من مستواك . أنتظر ما سوف يحدث في بلدة انذوفر في اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر ..

المخلص جداً : ا ب . س

ونظرت الى المظروف الذي كان مكتوباً على الآلة الكاتبة أيضاً ، فوجدت انه أرسل من مكتب بريد و . س . ا وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

– ما رأيك ؟

فهززت كتفي ، وأعدت الرسالة اليه ، قائلاً :

– أعتقد أن كاتبها رجل مخبول .

– أهذا كل ما لديك من أقوال ؟

– ألا ترى انه مخبول تماماً ؟

– الى حد ما ..

ونغمة ما في صوته جعلتني أنظر اليه ، وأقول في دهشة :

– هل تنظر الى هذا الموضوع باهتمام كبير يا بوارو ؟

– ان الرجل المجنون ، يا صديقي ، ليس بالشيء البسيط الذي لا يثير الاهتمام .. انه قد يكون شديد الخطر .

فقلت مسرعاً :

– نعم . نعم .. ولكنني أردت أن أقول فقط ان مجنوناً أرسل اليك هذه الرسالة لإثارة ضجة جوفاء . او لعل كاتبها رجل أسرف في الخمر حتى فقد صوابه !

– كل هذا محتمل .. ولكنني غير مطمئن في الوقت نفسه

فسألته قائلاً :

– هل عرضت هذه الرسالة على رجال الشرطة ؟

– أجل .. عرضتها على المفتش جاب ، فقال – كما قلت انت تماماً – إنها دعابة ثقيلة من رجل سكير أو مجنون ، وأكد لي أن ادارة اسكتلنديارد تتلقى في اليوم الواحد عشرات من هذا النوع من الرسائل .

– إذن فلماذا تهتم بأمرها كل هذا الاهتمام ؟

فأجاب بوارو ببطء قائلا :

– ان في هذه الرسالة يا هاستنج شيئاً يقلقني ..

فقلت وأنا أراه يعيدها الى مكانها :

– إذا كان الأمر كما تقول ، أفلا تستطيع أن تفعل شيئاً ؟

– آه انك دائماً هكذا ! ولكن ماذا في وسعي أن أفعل ؟.. ان رجال المباحث لا يهتمون بالأمر ، وليس على الرسالة بصمات أصابع . وليس هناك أي دليل يشير الى كاتبها .

– ليس هناك في الواقع إلا شعورك الخاص .

– لا يا عزيزي هاستنج لا شأن لمشاعري بهذا الموضوع ، انما هي المعرفة .. التجربة الطويلة هي التي تقول لي ان في هذه الرسالة شيئاً يثير القلق .

ثم لوح بيديه في شبه يأس لأن الكلمات لم تسعفه ، ثم هز رأسه وقال :

– لعلي أقيم من الحبة قبة . وأياً كان الأمر ، فليس أمامنا إلا الانتظار

– أجل . وان الحادث والعشرين من هذا الشهر يوافق يوم الجمعة ، فاذا وقع حادث سرقة بالقرب من اندوفر مثلاً .

فقاطعني قائلا بسرعة :

– عندئذ أتنهد بارتياح .

– تتنهد بارتياح .

– نعم ، لأن الذي يخيفني أن يكون الأمر أخطر جداً من مجرد حادث سرقة .

* * *

نهض المستر الكسندر بونابرت سوست من مقعده ، وحملـق بنظره القصير فيما حوله ، في غرفة نومه البالية . وكان ظهره متصلبـــاً بسبب جلسته غير المريحة ، ومن ثم راح يتمطأ ، ويشب على قدمه ، بحيث لو رآه أحد في تلـك اللحظة ، لحسبه رجلا طويلا جداً .

ومضى الى معطفه القديم المعلق وراء الباب ، وتناول من جيبه علبة سجائر رخيصة وبعض أعواد الثقاب وأشعل لنفسه سيجارة ثم عاد الى المائدة التي كان جالساً اليها .

وتناول دليلا للسكك الحديدية ، وراح يبحث فيـه عن شيء معين ، ثم راح يتأمل قائمة بعدد كبير من الاسماء المكتوبة على الآلة الكاتبة .

ومد يده ببطء ، وعلم بالقلم على الإسم الأول ..

وكان ذلك في يوم الخميس ، العشرين من شهر يونيه

الفصل الثاني

الجريمة الاولى

رغم تأثري بهواجس صديقي بوارو ، إلا انني في الأيام التالية كنت قـد نسيت في خضم شواغلي أمر تلك الرسالة ولم أتذكرها ، في الواقـع ، مرة أخرى إلا في اليوم الثاني والعشرين من الشهر، عندما أقبل مفتش المباحث جاب الى مسكن صديقي بوارو . ولما رآني صافحني بحرارة وشوق ، لأننا كنـا صديقين قديمين ، وصاح مدهوشاً .

– آه . هذه مفاجأة يا كابتن هاستنج ! متى جئت من تلك البراري التي ذهبت اليها ؟! اني إذ أراك الان أذكر تلك الأيام الطيبة التي كنت اراك فيهـا مع المسيو بوارو دائماً . آه ، اني أراك بخير وان كان شعرك قـد بدأ يخف بتأثير الزمن .. حسناً ، حسناً . هكذا الأمر معي أيضاً .

وامتعضت قليلا من هـذه الملاحظة ، ولكني تذكرت فجـأة أن جاب لم يكن لبقاً في أحاديثه مع أحـد . ومن ثم تظاهرت بالابتسام ، بينما أستطرد المفتش جاب في حديثه مع بوارو قائلا

– وهكذا انت دائماً يا مسيو بوارو . كلما فكرت في اعتزال هـذا الرمز التقاويل وراء المجرمين ، وجدت نفسك في خضم أحداث جديـدة . هل سمعت يا كابتن هاستنج عن الرسالة الغامضة التي تلقاها المسيو بوارو ؟

فقال بوارو :

لقد أطلعت هاستنج عليها منذ بضعة أيام .

فهتفت قائلا :

– أجل .. أجل . لقد نسيت أمرها . ماذا كان التاريخ المذكور فيها؟

فقال جاب :

– الحادي والعشرون . وهذا ما دفعني الى الحضور فقـــد كان أمس الحادي والعشرون من الشهر . وبدافع من الفضول فقط اتصلت امس تليفونياً بمركز شرطة اندوفر ، فقيل لي انه لم يحدث أكثر من مشاجرة بين أحـــد السكارى وزميل له ، واصابة طفلة بحجر قذفه عليها طفل في مثل سنها .ومن ثم اعتقدت أن المسيو-بوارو لم يكن موفقاً في هواجسه هذه المرة .

فاعترف بوارو قائلا :

– انني قد استرحت الآن .. حمدا لله .

– كنت شديد الجزع بسبب هذه الرسالة . اليس كذلك ؟ لك الله . اننا نتلقى عشرات أمثالها كل يوم . ويبدو ان هناك طائفة من الناس تهوى كتابة هذا النوع من الرسائل . لأسباب كثيرة مختلفة ..

– الواقع انني أوليت هذه الرسالة من الاهتمام أكثر مما تستحق . خير . لقد حضرت لزيارتك اليوم لأطمئنك من جهة ، ولأني كنت م بالتحقيق فيحادث سرقة جواهر في الشارع المجاور طاب يومكما .

وبعد انصرافه قلت لبوارو :

– انه لم يتغير كثيراً ..

– أجل .. ولكن الشعر الأبيض تكاثر في فوديه بشكل ملفت للنظر .. حسناً ، يبدو اني كنت مخطئاً حقاً في هواجسي عن تلك الر الة . ويلوح ان الانسان كلما كبر في السن ازداد ارتيابا في كل شيء ، كالكلب العجوز الأعمى الذي يحاول أن يثبت وجوده بالنباح الأجوف .

وهنا ضحكت ، وقلت :

– اسمع يا عزيزي بوارو ، إذا كنت تريد أن استأنف العمل معـــك في الايقاع بالمجرمين ، فيجب ان تكون الجريمة من النوع المثير الذي يقيم الرأي العام ويقعده .

فضحك بدوره ، وقال :

– إذا قدر لك أن تختار جريمة كما تختار طعام غذائك ، فكيف تريدهـا أن تكون ؟ سرقةمثلا ، أو تزييف ؟

– أريد ان تكون جريمة تهديد رئيس وزارة مثلا، أو خطر يحدق بمليونير أمريكي يقيم في انجلترا ، أو خطف رئيس تحرير صحيفة كبرى ، وان يراق على جوانب الجريمة الدم .

فتنهد بوارو ، وقال :

– ولا بد طبعاً أن يكون العنصر النسائي فيها .. فتاة جميلة

– ذات شعر ذهبي !

– أجل ، لأن الجمال كثيراً ما يجني على صاحبه ويثير حسد الناس له .

وقلت فجأة :

– ويحسن أن تعقب الجريمة الأولى ، جريمة ثانية ، لأن هذا يزيد من اهتمام الناس بالأمر ، لأن الجريمة الواحدة ، لا سيما حين تكتب في قصة مطولة ، قد تبعث على ملل القارىء .

وعندئذ صلصل جرس التليفون ، فتناول بوارو المسماع ، وقال

– أجل ، أنا بوارو . هير كيول بوارو .

وصمت برهة ينصت ، ثم أربد وجهه وهو يقول هذه العبارات على التوالي

– نعم ، نعم ..

– طبعاً ..

– طبعاً .. طبعاً ، سوف تحضر .

- أجل .. ربما كان الأمر كما تقول . .
- سآتي بها معي .
وأعاد المسماع الى الحمالة ، وقال لي
- انه المفتش جاب يا هاستنج .
- ماذا يريد ؟
- قال أنه عقب وصوله الى ادارة اسكتلانديارد ، وجد في انتظاره رسالة من أندوفر .

فهتفت قائلا بانفعال :
- اندوفر ؟
- أجل .. وجاء في الرسالة ان امرأة عجوزاً تدعى المسز آسكر وجدت مقتولة في دكانها الصغير الذي تبيع فيه التبغ والسجائر والحلوى .
وأعترف ان انفعالاتي هبطت في تلك اللحظة .. لقد كنت اتوقع أن اسمع عن جريمة تهز الرأي العام ، أما مقتل امرأة عجوز في بلدة نائية ، فهو حدث عادي يقع الكثير منه في كل يوم .

واستطرد بوارو يقول :
- ويعتقد رجال الشرطة في اندوفر أن في مقدورهم وضع أيديهم على الفاعل ..

وازدادت انفعلاتي هبوطاً ، بينما أردف بوارو يقول :
- ويبدو ان المرأة كانت على خلاف مع زوجها الذي أدمن الخمر وأصبح عاطلا منحط الأخلاق . وقد سمعه الكثيرون وهو يهدد زوجته بالقتل ..
وصمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف الحديث قائلا :

- ومع هذا كله ، فان رجال المباحث في أدارة اسكتلانديارد يريدون أن يعيدوا النظر في الرسالة الغامضة التي تلقيتها . وقد وعدتهم بأننا سنحضر الى اندوفر .

وأحسست بالانفعال المثير مرة أخرى ، وخامرتي ذلك الشعور القـــديم ، شعور كلب الصيد ، وهو يتأهب للانطلاق وراء الثعلب المراوغ ..
وكان بوارو لا يزال يتحدث ، ولكنني لم اسمع شيئاً مما قال :

* *

واستقبلنا في اندوفر المفتش جلين ، وكان رجـــلا طويلا أشقر البشرة ، لطيف الابتسامة .

واعتقد ان واجبي ، اولاً ، أن اسرد هنا الحقائق المجردة التي عرفت عن الجريمة ، والظروف المحيطة بها :

« اكتشف أمر الجريمة الكونستابل دوفر في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، أي في أول ساعة من صباح اليوم الثاني والعشرين من الشهر . وكان يقوم « بدوريته » الليلية التفتيشية عندما لاحظ أن باب دكان المسز آسكر غير مغلق ، فدخل .. فظن في أول الأمر انه لا يوجد به احد . وفيما هـو يسلط كشافه الكهربائي على ما وراء منصة البيع ، رأى جسم أمرأة عجوزاً مكوماً ولما حضر طبيب الصحة قال ان المرأة العجوز – الذي ثبت انها المسز اسكر نفسها – ماتت بضربة عنيفة أصابت مؤخرة رأسها . ومن المحتمل ان تكون الضربة هوت عليها أثناء استدارتها لاستحضار علبة سجائر من فوق أحـــد الرفوف . وقـد حدد الطبيب الوفاة من سبـع الى تسع ساعات قبـل اكتشاف الحادث » .

وقال المفتش في أثناء حديثه :

– ولكننا استطعنا ان نحدد الوقت بأقل من هذا ، لأننا عثرنا على رجل اعترف انه اشترى علبة تبـغ من المسز آسكر في الساعة الخامسة والنصف من مساء الحادي والعشرين ، وقال آخر أنه ذهب لشراء علبة سجائر فوجـد

الدكان خالياً كما ظن - في الساعة السادسة وخمس دقائق . وأنا لم أعثر بعد على أي شخص يشهد بأنه رأى زوجها المستر آسكر بالقرب من دكانها في ذلك الوقت المحدد ولكن قيل لنا انه كان في حانة « ثري كراونز » فاقد الوعي بالخمر في الساعة التاسعة من مساء أمس وعندما يتم القبض عليه ، سوف نحجزه رهن التحقيق .

فقال بوارو :

- انه كما سمعت شخصية فاسدة .

- أجل ..

- هل كان يعيش مع زوجته ؟

- لا . لقد انفصلا منذ بضعة أعوام . وآسكر ألماني الجنسية ، وكان في يوم ما يشتغل جرسوناً ، ثم أدمن الخمر وأصبح تدريجياً غير صالح لأي عمل واشتغلت زوجته بالخدمة في البيوت حيناً . وكان آخر عمل لها اشتغلت طاهية ، ومديرة بيت في منزل عانس عجوز تدعى المس روز . وكانت المسز آسكر تعطي بعض المال لزوجها ، من اجرها ، لتسكته عنها . ولكنه كان يسكر ويذهب اليها ، ويثير معها المنازعات والفضائح .. وهذا ما جعلها تقبل العمل مع المس روز في بلدة جرانج التي تبعد عن اندوفر بثلاثة أميال . وهكذا لم يكن يستطيع ان يتردد عليها بكثرة ولما ماتت المس روز ، تركت في وصيتها للمسز آسكر مبلغاً من المال استطاعت به أن تنشيء متجراً لبيع التبغ والحلوى والصحف . وكان دخلها من هذا المتجر يتيح لها حياة الكفاف . ولكن زوجها ظل يثقل عليها بطلباته حتى اتفقت معه على إعطائه خمسة عشر شلناً كل اسبوع إتقاء لشره

- هل لديهما أبناء ؟

- لا . ولكن للمجني عليها ابنة اخت تشتغل مديرة بيت في بلدة اوفرتون ، وهي فتاة ناضجة كريمة الأخلاق

ـ وذلك الرجل المدعو آسكر كان يهدد زوجته دائماً ؟!

ـ أجل . وكان اذا سكر يصبح وحشاً بذيء اللسان ، وكثيراً ما هددها بتحطيم رأسها .

ـ وكم كان عمر المجني عليها ؟

ـ في نحو الستين .. وكانت سيدة محترمة ، مكافحة .

ـ إذن فأنت تعتقد يا سيدي المفتش بأن زوجها هو القاتل ؟

فتنحنح المفتش جلين قبل ان يقول :

ـ يجب أولاً ان نعرف كيف أمضى فترة المساء أمس فاذا ثبت انه كان بعيداً عن مسرح الجريمة عند وقوعها ، فربما أفرجنا عنه ، وإلا ..

ـ ألم يسرق شيء .. فان النقود ظلت كما هي في الدرج، ولا يبدو أن هناك شيئا مسروقاً .

ـ إذن فأنت تعتقد ان المدعو آسكر ذهب ـ وهو مخمور ـ الى دكان زوجته ثم تشاجر معها ، وضربها بشيء ثقيل على أم رأسها ؟!

ـ هذا ما يبدو لنا حتى الآن .. ولكننا نريد ان نلقي نظرة على الرسالة الغامضة التي جاءتك

وبعد ان قرأ المفتش الرسالة ، قطب جبينه وقال :

ـ لا يلوح ان آسكر هو كاتبها ، لأن يد الرجل أصبحت الآن ترتعد بشدة بسبب إدمانه الخمر ، وهذه الرسالة مكتوبة بيد ثابتة وبخط واضح . كما أن الورق والمداد من نوعين ممتازين بعيدين عن متناول رجل في مثل ظروف آسكر. لهذا أرى ان الأمر مجرد مصادفة .

ـ هذا محتمل ..

ـ ولكنني لا أطمئن الى هذا النوع من المصادفات .

وصمت برهة قبل ان يقطب جبينه مرة أخرى ويردف قائلاً :

ـ ا. ب. س. ! من يكون هذا الشيطان ا ب. س. لسوف نحاول أن

نعرف رأي ماري دراور – ابنة اختها – في هذا الموضوع ولولا هذه الرسالة لراهنت بكل قرش معي ان آسكر هو الجاني .

- ألديكم أية معلومات عن تاريخ المجني عليها ؟

– إنها امرأة من إقليم هامشاير ، ذهبت للخدمة في المنازل ، منذ كانت فتاة ، في مدينة لندن .. وهناك تقابلت مع آسكر وتزوجته . وفي عام ١٩٤٥ انفصلت عنه نهائياً بدون طلاق . وعادت الى هذه البلدة لتبقى في منأى عنه ، ولكنه تبعها الى هنا وراح يبتز مالها ..

وهنا حضر احد الكونستبلات ، فقال له المفتش :

- حسناً يا بريجز ؟

– لقد أحضرنا المدعو آسكر .

– أدخله فوراً . أين كان ؟

- كان مختفياً في مركبة سكة حديد مهجورة .

– حسناً . أدخله فوراً .

وكان فرانز آسكر ، الألماني الأصل، والانجليزي الجنسية ، نموذجاً بائساً من الجنس البشري وكان يثرثر ويدمدم قائلاً ، وهو يحملق في وجوهنا بنظرات ملؤها الخوف والاحتجاج :

- ماذا تريدون مني ؟ إنني لم أفعل شيئاً . إنكم تظلمونني . كل انسان في هذه الدنيا يظلمني . أنني مسكين ، دعوني وشأني .

وشرع آسكر في البكاء ، وهنا قال له المفتش :

– تمالك نفسك يا آسكر . اننا لم نوجه اليك بعد أي اتهام . ولم يجبرك أحداً على ان تقول شيئاً رغماً عنك .

– ولكنني لم اقتلها . لم أقتلها .. دعوني وشأني .

– لقد هددتها كثيراً بالقتل يا اسكر .. اليس كذلك ؟

– لا .. لا .. كنت أمزح معها فقط .

نوع لطيف من المزاح .. اليس كذلك ؟ حسناً . أين كنت بعد غروب يوم أمس يا اسكر ؟

– انني لم اقترب من دكانها. لقد كنت أمس بعد الظهر حتى ساعة متأخرة من الليل مع أصحاب محترمين ، ذهبنا اولاً الى حانة « سيفن ستارز » ثم الى حانة « رد دوج » ، وكان معنا ديك ويلوز وكرودي العجوز ، وجورج وبلات وغيرهم . نعم ، انني لم أقترب منها أمس .

ولما بدأ يصرخ – وهو في حالة انهيار عصبي – امر المفتش بنقله الى غرفة غرفة الحجز على ذمة التحقيق ، ثم قال بوارو :

– ما رأيك في هؤلاء الشهود ؟

– إنهم جميعاً من مدمني الخمر . ويتوقف الأمر الآن على ان يكون هناك شهود آخرون قد رأوه بالقرب من الدكان بعد ظهر أمس .

وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

– هل انت واثق بأن شيئاً ما لم يسرق من الدكان ؟

فهز المفتش كتفيه ، وقال :

– من يدري ؟. ربما سرقت علبة سجائر او اثنتان ، فان هذا شيء لا يمكن التأكد منه .

وبعد برهة صمت أردف قائلاً :

– لكن من غير المعقول ان يرتكب شخص ما جريمة قتل ليسرق بضع علب سجائر .

وقال بوارو :

– ألم يكن هناك . في مكان الجريمة شيء ؟. أعني شيئاً غريباً في وضعه أو شكله أو مثيراً للانتباه ؟

ففكر المفتش برهة ، ثم قال :

– كان هناك دليل سكة حديد .

دليل سكة حديد ؟

ـ أجل ، وكان مفتوحاً ومقلوباً على منضدة البيع ، وكأنما كان ثمة شخص يبحث فيه عن مواعيد القطارات المتحركة من محطة أندوفر .

ـ وهل كانت المسز اسكر تبيع هذا النوع من الكتب ؟

فهز المفتش رأسه ، وقال :

ـ كانت تبيع جداول سفر صغيرة لايزيد ثمن الواحد منها على نصف قرش، اما هذا الدليل، فهو من الحجم الكبير الذي لا يباع إلا في المكتبات الكبيرة.

وهنا ومضت عينا بوارو ، وقال بلهفة :

ـ أتقول دليل سكة حديد ، أهو دليل برادشو او ا. ب. س. !

وهتف المفتش قائلاً :

ـ بحق السماء ! انه من هذا النوع الذي يقوم على الأحرف الهجائية .

الفصل الثالث

في مسرح الجريمة

أعتقد ان اهتمامي بهذا الحادث قـد تضاعف عند ذكر دليل برادشـو السياحي القائم على تسجيل أسماء المحطات بالترتيب الأبجدي ، وكان اهتمامي قبل ذلك لا يعدو اهتمام أي شخص غريب بقتل امرأة عجوز فقيرة في بلدة نائية إنها جريمة من النوع الذي تنشره الصحف في أصغر أركانها ، وبأصغر حروف طباعتها ، وكنت أعتقد في قرارة نفسي ان المسز آسكر ذهبت ضحية زوجها السكير ، وانه لا شأن للرسالة الغامضة بهذه الجريمة ، وان الأمر كله لا يعدو ان يكون محض مصادفة. أما بعد ان سمعت بأمر هذا الدليل الابجدي للسكة الحديد، فقد أحسست برعدة تسري في كياني وأنا أومن بان هذا لا يمكن أن يكون مصادفة .

لقد اتخذت الجريمة في رأيي وجهة اخرى ، خطيرة .

فمن هو ذلك الشخص الخفي الذي قتل المسز اسكر ، وترك وراءه الدليل الأبجدي لمحطات السكة الحديدية ؟

وبعد أن غـادرنا مركز الشرطة في أندوفر ذهبنا الى المشرحـة ، حيث رأينـا المجني عليها ، جثة هامـدة ، بشعرها الأشيب ، والاصابة القاتـلة في رأسها .

وأسرعنا بالخروج الى مكتب الجاويش الذي قال لنا مواسياً :

– انها لم تعرف من الذي قتلها ، فان الدكتور كار يقول ان الوفاة حدثت في الحال . واني لمسرور لهذا ، لأن هذه السيدة كانت طيبة ومسكينة . وأحمد الله انها لم تتعذب .

وقال بوارو :

يبدو انها كانت جميلة في شبابها .

فنظرت اليه مدهوشاً ، وقلت :

– هل لهذا علاقة بالحادث ؟

حسناً .. سوف نرى .

ثم التقينا بالدكتور كار الذي قال :

– إن رجال المباحث لم يعثروا على أداة القتل بعد . ولكن الواضح انها أداة من نوع عادي ، هراوة ، ثقل من أي نوع ، عصا محشوة بالحديد ، أو كيس رملي . كل هذا قد يكون من الأدوات التي تستعمل لارتكاب الجريمة .

– هل توجيه هذه الضربة كان يستلزم قوة خاصة .

فنظر الطبيب اليه في ارتياب وقال :

– أتعني هل يستطيع رجل مثل اسكر في السبعين من عمره ، مرتعش اليدين ان يوجه ضربة كهذه ! نعم . إن هذا ممكن .

– إذن فقد يكون القاتل . امرأة ؟

فنظر الطبيب اليه بدهشة ، وقال :

– امرأة ؟ ان هذا الاحتمال لم يخطر ببالي . ولكنه احتمال ممكن الوقوع . أما من الناحية النفسية ، فيمكنني القول انها ليست جريمة نسائية .

فأومأ بوارو برأسه موافقاً ، وقال

– بكل تأكيد . بكل تأكيد . ان هذا امر بعيد الاحتمال ، ولكن على

الانسان ان يشمل بنظرته جميع الاحتمالات وكيف كان وضع الجثة ؟

فذكر الطبيب انه يرجح ان المجني عليها كانت قد استدارت بظهرها للقاتل لكي تأتي اليه بشيء ، فأهوى على مؤخرة رأسها ، فتكومت على نفسها وراء منضدة البيع ، ومن ثم بدا الدكان لعابر السبيل وكأنه خال تماماً .

وقال لي بوارو بعد انصرافنا :

– أترى يا عزيزي هاستنج . هذه نقطة جديدة في جانب براءة اسكر ، فلو انه هو الذي ذهب الى زوجته يسبها ويهددها ، لوقفت أمامه تواجهه .. ولكنها كانت عند الوفاة مستديرة بظهرها الى القاتل الذي جاء ولا شك في هيئة رجل يريد شراء شيء .

ثم أردف قائلاً ، وهو ينظر في ساعة يده :

– أعتقد أن أورفرتون ليست بعيدة عن هنا . ما رأيك في أن نسرع اليها الآن ونقابل ابنة اخت المجني عليها ؟

– ألا يحسن أن نمضي أولاً الى مسرح الجريمة ؟

– أفضل أن أفعل هذا فيما بعد ، لأسباب خاصة

وبعد لحظات قليلة ، كنا نندفع بالسيارة في طريق لندن متجهين نحو بلدة أورفرتون .. وكان العنوان الذي أعطاه لنا المفتش ينطبق على بيت كبير الحجم ، يبعد نحو ميل على الجانب « اللندني » من القرية .

واستجابت لرنين جرسنا فتاة شابة في ملابس سوداء ، جميلة الوجه ، متورمة العينين من فرط البكاء

قال لها بوارو برفق :

– آه ! أعتقد أنك المس ماري دراور ؟

– أجل يا سيدي . إنني ماري يا سيدي .

هل أستطيع أن أتحدث معك بضع دقائق بعد اذن سيدتك؟ ان الموضوع يتعلق بمقتل خالتك ، المسز اسكر .

- إن سيدتي في الخارج يا سيدي ، وهي لن تمانع في أن تتفضل بالدخول .

ثم فتحت باباً لغرفة استقبال صغيرة . وبعد أن جلسنا بجوار النافذة ، رمق بوارو الفتاة بامعان ، ثم قال

- لقد سمعت طبعاً بما حدث لخالتك ؟

فأومأت الفتاة برأسها ، وقالت والدموع تنساب من عينيها

- علمت هذا الصباح يا سيدي عندما جاء أحد رجال الشرطة واخبرني بالحادث . آه . إن الأمر فظيع يا لخالتي المسكينة ! أتعيش بائسة طيلة حياتها ثم تكون هذه هي النهاية !

- ألم يعرض عليك رجل الشرطة الذهاب الى أندوفر ؟

قال إنني يجب أن أحضر جلسة التحقيق التي ستعقد يوم الاثنين التالي أما الآن، فكيف أذهب وأين أقيم هناك؟ إنني لن أطيق الاقامة في غرفة خالتي التي تقع وراء الدكان . وزميلتي في العمل هنا غائبة عند أهلها ، وأعتقد انه لا يجوز أن أترك سيدتي بمفردها في مثل هذه الظروف .

فقال بوارو برفق :

كنت تحبين خالتك ؟

- جداً يا سيدي . لقد كانت عطوفاً علي دائماً .. هكذا كانت دائماً منذ وفاة أمي . وقد بدأت أعمل بالخدمة في البيوت منذ كنت في السادسة عشرة من عمري . ولكنني كنت حريصة على قضاء يوم عطلتي الأسبوعية لديها. وكان ذلك الألماني اللعين سبباً في شقاء حياتها . انه لم يتركها تنعم يوماً بالراحة والهدوء .

وكانت الفتاة تتحدث بحماس فقال لها بوارو

- ألم تفكر خالتك يوماً في طلب الطلاق منه ؟

- لا يا سيدي.. ان خالتي لم تكن من النوع الذي يبرر الطلاق لأي سبب.

ـ وهل سمعته يهددها يا ماري ؟

ـ أوه .. كثيراً .. وما أفظع ما كان يقوله لها . كان يقول انه سيذبحها يوماً ، وسيحرقها يوماً ، وسيدق عنقها ، كان لا يكف عن السباب بالانجليزية والألمانية . ومع ذلك كانت خالتي تقول انه كان في شبابه رجلاً لطيفاً جميلاً مهذباً .

ـ إذن فأنت لم تدهشي كثيراً حين سمعت بصرع خالتك واتهام رجال الشرطة إياه بأنه هو القاتل .

ـ على العكس يا سيدي .. لقد دهشت جداً ، لأنه لم يخطر ببالي قط أن مثل هذا الرجل العجوز السكير المهدم يستطيع ان يقتل نفساً بشرية .. بل أكثر من هذا كنت أراه يتراجع عنها كالكلب المذعور عندما تستدير اليه وتبدأ في معاملته بالمثل . أجل لقد كان يخشاها !

ـ ومع ذلك كانت تعطيه مالاً ؟

ـ طبعاً يا سيدي . ألم يكن زوجها !

ـ أجل ، أجل ..

ثم أردف بوارو بعد لحظة صمت :

ـ لنفرض انه ليس قاتلها ..

فحملقت في وجهه بدهشة وتمتمت :

ـ ليس قاتلها ؟!.

ـ أجل .. لنفرض ان الذي قتلها شخص آخر ، فهل لديك أية فكرة من يمكن ان يكون ؟

ـ لا يا سيدي ، مطلقاً ، ان هذا غير محتمل . فمن هذا الذي يسعى الى قتل امرأة عجوز مسالمة مثل خالتي !

ـ ألم تسمعيها تذكر اسم أي شخص غاضب منها او ساخط عليها ؟

ـ أبداً أبداً يا سيدي ..

أ: تستلم قط رسائل بتوقيعات أشخاص مجهولين ؟

– لا أظن يا سيدي .

– اليس لخالتك أقارب غيرك ؟

– لا أظن يا سيدي . لقد كانت واحدة من عشر بنات وأبناء ولكن لم يعش منهم سوى ثلاثة غيرها . هي وخالي توم الذي قتل في الحرب ، وخالي هاري الذي رحل الى امريكا الجنوبية ، ولم نعد نسمع عنه شيئاً . أما أمي فقد ماتت وأنا طفلة .. وهكذا لم يبق لها من الأقارب غيري .

– هل كانت خالتك تدخر مالاً ؟

– كانت تدخر في بنك التوفير مبلغاً بسيطاً ، يكفي لتغطية نفقات جنازتها. أما فيما عدا ذلك فقد كانت تجاهد حتى تقيم اودها . فضلاً عن المبالغ التي كان ذلك الشيطان يبتزها منها .

فأومأ بوارو برأسه ، ثم نهض ، وهو يقول

– إذا احتجنا اليك في أي وقت يا ماري ، فهل نكتب اليك في هذا العنوان ؟

– الواقع إنني لن أمكث هنا طويلاً .. لقد آثرت العمل في هذه البلدة لأكون قريبة من خالتي .

ثم طفرت الدموع من عينيها ، وهي تردف قائلة :

– أما وقد ماتت ، فأعتقد ان مكان العمل الملائم لفتاة مثلي هو مدينة لندن .

– أرجو عندما ترحلين الى لندن ، ان ترسلي الي بعنوانك الجديد . وهذه هي بطاقتي

فقالت بعد ان نظرت في البطاقة :

– إذن فأنت لست من رجال الشرطة يا سيدي ؟

- إنني أعمل لحسابي الخاص

فوقفت ونظرت اليه برهة ، ثم قالت بصوت خافت :

- هل ثمة شيء خاص في هذه الجريمة يا سيدي ؟

أجل يا ابنتي ، وسوف تعرفين كل شيء في حينه ، ونرجو ان تبذلي جهدك في مساعدتنا اذا احتجنا اليك .

- هذا ما أرجوه يا سيدي ..

وبعد لحظات ، كنا في طريق العودة الى اندوفر .

* * *

كان مسرح الجريمة في شارع جانبي يتفرع من الشارع العام بالبلدة ، وكان دكان المسز آسكر يقع في منتصف هذا الشارع الجانبي ، في الجهة اليمنى .

وفيما نحن ندخل هذا الشارع ، رأيت بوارو ينظر في ساعته .. وعندئذ أدركت لماذا أرجأ زيارة مسرح الجريمة حتى هذا الوقت . لقد أراد أن يصل اليه في نفس الفترة المماثلة للفترة التي وقع فيها الحادث ، أي في الساعة الخامسة والنصف مساء .

وكان ثمة بعض الدكاكين المتناثرة بين بيوت الطبقة الدنيا في ذلك الشارع الجانبي . وكان المعتاد في ذلك الوقت من اليوم أن يرى فيه بعض السكان ، وهم عائدون من أعمالهم الى بيوتهم ، أو بعض الأطفال وهم يلعبون أما عندما ذهبنا نحن ، فقد كان المنظر جد مختلف . كان هناك جمع كبير من سكان البلدة الذين دفعهم الفضول الى مسرح الجريمة ، راحوا من بعيد يقفون جماعات جماعات يتبادلون الأحاديث والتعليقات عن الحادث .

ولما وصلنا الى الدكان ، وجدناه صغيراً حقير المظهر ، مغلقاً ، وقد وقف

أمامه أحد رجال الشرطة . ووقف بوارو برهة ينظر الى اللافتة الحقيرة التي تحمل اسم « ا. آسكر » ، ثم قال لي فجأة :

– هلم ندخل هذا الدكان يا هاستنج .

وشققنا طريقنا بين المجتمعين ، وقدم بوارو بطاقته الخاصة لرجل الشرطة الذي أومأ برأسه وفتح باب الدكان ، وسمح لنا بالدخول بين دهشة المتفرجين البالغة .

وكان الظلام في الداخل كثيفاً ، فأدار الشرطي مفتاح النور .. وعلى هذا الضوء الكهربائي أخذت أفحص ما حولي .

كان دكاناً صغيراً حقيراً أيضاً من الداخل ، على منضدة البيع بعض الصحف والمجلات الرخيصة التي يعلوها الغبار ، ووراء المنصة بضعة أرفف عليها علب السجائر والحلوى والتبغ وبعض الدمى الخزفية الرخيصة ، وعلى مشجب في نهاية الدكان كان ثمة معطف من الصوف القديم ، ومطرف وصديرية نسائية . وكانت هذه كل بقايا ملابس المسكينة آليس اسكر .

وقال بوارو ، وهو يمسك بيدي :

– هلم الى الخارج يا هاستنج ، فلن نجد هنا ما يلقي أي ضوء على الحادث .

ولما عدنا الى الشارع ، وقف بوارو متردداً برهة ، ثم عبرنا الطريق الى الجانب الآخر ، حيث كان ثمة دكان فاكهي وخضري في الجهة المقابلة تماماً لدكان المسز آسكر . وكان الفاكهي يعرض معظم سلعه على منصات خارج الدكان .

وكان بوارو قد طلب مني بصوت خافت - ونحن نعبر الطريق الى ذلك الدكان أن أشتري أية كمية من الفاكهة أثناء حديثنا مع البائعة .

وراح يتحدث مع البائعة البدينة ، وهو يشتري منها كمية من الخس ،

بينما طلبت أنا شراء رطل من الفراولة . وكان هو يقول معلقاً على الحادث :

- كان الحادث في مواجهتك تماماً .. اليس كذلك ؟ أعني مقتل المستر آسكر . لا شك انه أثار ضجة كبيرة في بلدة صغيرة كهذه .

ويبدو ان البائعة البدينة كانت قد تعبت من كثرة الحديث عن هذا الموضوع، إذ قالت في ضجر واضح :

- إنني لا أدري لماذا يتجمع كل هؤلاء الناس.. ماذا يشاهدون ، وعلى أي شيء يتفرجون ؟

- لا شك ان الشارع أمس كان هادئاً .. ولعلك لاحظت القاتل ، وهو يدخل . انه رجل طويل أشقر رومي السمت . أو هكذا يقال .

- ما هذا ؟! أهو رومي ؟

- علمت ان رجال الشرطة قبضوا على رجل روسي بتهمة قتل المستر آسكر .

- آه . حسناً جداً .. اذن فهو أجنبي غريب عن البلاد .

- كنت أظن انك لمحته ، وهو يدخل دكانها !

- الواقع انني لا ألاحظ المارة كثيراً ، لأنني أكون في مثل هذا الوقت مشغولة بالبيع . ولكن المؤكد انني لم أر رجلاً طويلاً أشقر البشرة يمر بالشارع أمس .

وهنا تدخلت أنا في الموضوع وقلت :

- معذرة أيها السيد .. ولكنني سمعت شخصياً ان رجال الشرطة القوا القبض على رجل قصير خمري اللون له لحية صغيرة .

واشترك في الحديث عندئذ صاحب الدكان - وكان زوج البائعة - وصبي في نحو العاشرة وقد قال الثلاثة انهم رأوا أربعة رجال قصار سمر الوجوه ، ولكن ليس بينهم واحد له لحية صغيرة .. وقال الصبي انه رأى رجلاً طويلاً

أشقر وله لحية . وبعد انصرافنا عن الدكان ، قلت لبوارو في ضيق :

- ماذا كنت تهدف من هذا اللغو الفارغ ؟

- كنت أريد ان أعرف الى اي حد يمكن ان يلاحظ هؤلاء النـاس مرور رجل غريب عن البلدة بهذا الشارع .

- أما كان يمكنك أن تسألهم مباشرة ؟

- لا .. أن السؤال المباشر يجعلهم يتحفظون . أما هذه الطريقة البسيطة في تبـادل الحديث ، فهي التي تخرجهم عن تحفظهم وتجعلهم يتجاوبون معك ويجيبون على أسئلتك دون أن يشعروا بالخوف او الحرج .

ثم أردف قائلاً ، وهو ينظر الى كيس الفاكهة في يدي :

- عندما تشتري نوعاً من الفاكهـة في مثل هذه الظروف يا هاستنج ، يجب ان تختار نوعاً من الفاكهة الجافة . أنظر الآن، ان الفراولة قد أوشكت أن تبلل ملابسك .

ولاحظت ، في استياء ، ان تلك هي الحقيقة . ومن ثم انتهزت اول فرصة وأعطيتها لغلام في الطريق ، وأضاف بوارو اليها الخس الذي اشتراه ، ثم عدنا الى الجانب الذي يقع فيه دكان المسز آسكر حيث رأينا ان المنزل والدكان الواقعين على يمينه خاليين ، ومكتوب عليهما « للايجار » . أما على الجانب الاخر فكان ثمة منزل صغير حقير تنسدل على نوافذه الأماميـة ستائر غبراء من الموسلين . وطرق بوارو باب هذا المنزل الأخير ، فلم يلبث ان فتحه صبي صغير قذر السمت ، فسأله بوارو عن والدته .. فأسرع اليها ، وبعث بها الينا ، بينما لاذ هو في ركن من الردهة يتأملنا في شك وقلق

وأقبلت سيدة حادة الملامح ، متجهمة الوجه ، وقالت فوراً :

- لا فائدة من اضاعة وقتكم في ..

ولكن بوارو قاطعها قائلاً ، وهو يرفع قبعته ويحييها باحترام :

طاب مساؤك يا سيدتي، انني محرر بصحيفة «الايفننج فليشر» وارجو أن تقبلي هذه الجنيهات الخمسة مقابل اعطائنا بعض المعلومات الخاصة لكتابة مقال عن جارتك المسز اسكر .

فانبسطت اسارير المرأة أمام الجنيهات الخمسة ، وقالت :

- تفضلا بالدخول .. تفضلا

ودخلنا غرفة صغيرة ضيقة مكتظة بالاثاث القديم ، واستطعنا ان نجلس على نحو ما أمام السيدة التي قالت معتذرة :

- انني اسفة على لهجتي الحادة التي تحدثت بهـا معكما في اول الأمر . والواقع ان ربة البيت منا لا تكاد تفرغ من فتح الباب بين الحين والاخر لهذا البائع المتجول او ذاك . باعة المكانس الكهربائية ، والمطهرات ، والصابون الكيمائي ، والجوارب ، والروائح وما الى هذا كله . وكلهم يتحدثون برقة ولباقة ، يحاولون ان يكتبوا الأسم ويقولون : « لكي تكوني عميلة دائمة يا مسز فاولر » وهكذا .

وانتهز بوارو فرصة التعرف باسمها ، فقال بلباقة :

- حسناً يا مسز فاولر . أرجو ان تحققي رجاءنا في كتابة مقال عن جارتك المسكينة .

فرمقت السيدة الجنيهات الخمسة في يد بوارو ، وقالت :

- انني أرجو هذا . ولكنني لا أعرف كيف تكتب المقالات !

فأسرع بوارو واكد لها انها لن تكتب بنفسها شيئاً ، وانما يكفي ان تدلي اليه بما تعرفه عن حياة جارتها الخاصة ، ثم يتولى هو صياغة المقال .

وتشجعت المسز فاولر ، واندفعت تحدثنـا بكل ما تعرفه عن المجنى عليهـا .

كانت تعيش منطوية على نفسها ، ولا تميل الى مصادقة أحد . ولا شك انه

كان لها العذر بسبب المتاعب التي عاشت فيها، والتي كان زوجها السبب الوحيد في اثارتها ولكن المسز اسكر لم تكن تخشاه حقاً ! بل انها كانت تستطيع اذا شاءت - ان تملأ قلبه بالفزع منها الا ان هذا لم يكن يمنع المسز فاولر، من تحذير جارتها المسز اسكر الى قتلك ذات يوم ، فكوني دائماً على حذر منه، وقد حدث ما كنت أخشاه واتنبأ به ، وماتت مقتولة ، دون ان أشعر او أسمع أي شيء .

وتوقفت المسز فاولر رأسها ، وقالت انهـــا لا تعلم شيئاً عن هذا ، ولا تعتقد أن المسز اسكر من النساء اللآتي يهتم أحد بارسال خطابات بلا توقيع اليها .

وسألها بوارو قائلاً :

- هل سبق ان رأيت عندها دليل برادشو للسكة الحديدية ؟

فقالت في حيرة .

- انني لم أر مثل هذا الدليل في حياتي

- انه يرتب أسماء المحطات بالحروف الهجائية

- لا يا سيدي ... لم أره من قبـل ، لا عند المسز اسكر أو عند غيرها .

- هل رأى أحد ذلك المدعو اسكر ، وهو يدخل دكانها في تلك الساعة التي وقعت فيها الجريمة ؟

- لا شك انه كان حريصاً ، طبعاً ، حتى لا يراه أحد .

والقى بوارو عليها مزيداً من الأسئلة ، ولكن المرأة ظلت تعيد وتكرر ما قالته عن سوء أخلاق المستر اسكر ، وعن قسوة معاملته لزوجته ، وعن تحذيراتها هي الدائمة للزوجة .

ولما اعطاها بوارو الجنيهات الخمسة وانصرفنا ، قلت له :

ـ أتعتقد ان هذه المعلومات المكررة التافهة تساوي هذا المبلغ ؟

فهز بوارو كتفيه ، وقال :

ـ اننا الان كالذي يعيش في ظلام دائم . ولكن من يدري ؟. فربما نجد في النهاية بصيصاً من الضوء يرشدنا الى غايتنا .. ولعل بعض المعلومات التي تبدو لنا الان تافهة . تكون ذات قيمة كبيرة في المستقبل .

ولم أفهم في تلك اللحظة ماذا يعني بالتحديد ، ولكنني لم أطلب منه التفسير او التوضيح ، لاننا التقينا عندئذ بالمفتش جاين.

* * *

الفصل الرابع

الرسالة الثانية

كان المفتش جلين يبدو مكتئب السمات . وكان – كما فهمت - قد امضى طيلة فترة ما بعد الظهر ، يحاول أن يكتب قائمة بجميع الأشخـــاص الذين شوهدوا يدخلون دكان المسز آسكر بعد ظهر اليوم الحــادي والعشرين من شهر يونيو .

وسأله بوارو قائلا .

– ألم يرَ واحد منهم أحداً من الداخلين ؟

– أوه . بل رأوا الكثيرين . . رأوا ثلاثة رجـــال طوال لهم نظرات مختلسة مضطربة ، وأربعة رجال قصار لهم شوارب كثة ، واثنين بلحيتـين مهوشتين ، وثلاثة رجال بدينين . وكلهم أجانب ، ولست أدري لماذا لم يروا عصابة رهيبة يضع رجالها الأقنعة السوداء على وجوههم شاهرين مسدساتهم ؟!

فابتسم بوارو في إشفاق ، وقال :

– ألم ير أحد ذلك المدعو آسكر وهو يدخل الدكان في ذلك الوقت ؟

– لا . . لم يره أحد . . وهذا في صالحه طبعاً ، وأعترف الآن اني طلبت من حكمدار المنطقة أن يطلب الاستعانة برجال اسكتلانديارد ، لأن هذه الجريمة ليست محلية في نظري

– اني أتفق معك في هذا الرأي .

– إني متشائم جداً يا مسيو بوارو .. أحس أن هذه الجريمة ستكون حلقة أولى في سلسلة الجرائم المتوالية .. ولست أدري لماذا ؟

* * *

وكان علينا أن نقوم بزيارة اثنين من سكان بلدة أندوفر : أحدهما المستر جيمس بارتريدج الذي كان آخر من شاهد المسز آسكر وهي لا تزال على قيد الحياة ، لأنه اشترى منها علبة سجائر في الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الحادث .

وكان المستر بارتريدج رجلاً ضئيل الحجم ، يعمل كاتباً في بنك ، ويضع على عينيه نظارة قراءة ، ويبدو دقيقاً في كل حركاته وتصرفاته ، ويقيم في بيت نظيف مرتب

قال وهو يحملق في بطاقة بوارو :

– آه . المسيو بوارو .. من طرف المفتش جلين ؟ اني تحت أمرك يا مسيو بوارو .

– فهمت يا مستر بارتريدج انك اخر من رأى المسز اسكر ، وهي على قيد الحياة .

فنظر المستر بارتريدج إلى بوارو ، كما ينظر إلى شيك غير مستوف للشروط ثم قال :

– هذه مسألة لا يمكن الجزم بها يا مسيو بوارو من أين لي أو لغيري العلم بأن أحداً لم يدخل لشراء شيء بعدي ؟

– لو دخل أحد بعدك ، لتقدم وأدلى بشهادته .

– إن بعض الناس يا مسيو بوارو ينقصهم الشعور باداء الواجب

– صدقت .. وأعتقد انك ذهبت إلى مركز الشرطة للادلاء بمعلوماتك

متطوعاً

- نعم ، طبعاً .. فبمجرد ان سمعت عن الحادث الأليم ، بادرت إلى مركز الشرطة . وأدليت بشهادتي آملاً أن القي بعض الضوء على غموض الحادث .

- هذه روح طيبة فعلاً .. هل يمكن أن تكرر على سمعي هذه الشهادة ؟

- طبعاً ، طبعاً . لقد كنت عائداً إلى بيتي هذا . وفي تمام الساعة الخامسة والنصف .

- معذرة يا مستر بارتريدج ، كيف أمكنك تحديد هذا الوقت بالدقة ؟

- كانت ساعة الكنيسة تدق النصف بعد الخامسة ، فنظرت في ساعتي حيث وجدتها متأخرة وكان هذا قبل أن أدخل دكان المسز اسكر بلحظة .

- وهل كان من عادتك أن تشتري منها بعض حاجياتك ؟

- أحياناً .. فإن دكانها يقع في طريقي إلى البيت ، وقد اعتدت أن أشتري منها علبة سجائر بين يوم واخر .

- هل تعرف شيئاً عن المسز اسكر . عن ماضيها أو تاريخ حياتها ؟

- لا شيء تقريباً . اني لم اكن أتبادل معها أي حديث إلا عن الطقس أحياناً .

- أكنت تعرف أن لها زوجاً سكيراً اعتاد أن يبتز منها المال بالقوة ؟

- لا .. لم أكن أعرف عنها شيئاً من هذا القبيل

- إنك تعرفها بالنظر . فهل رأيت في مظهرها ما يدل على انها كانت في حالة غير طبيعية في ذلك الحين؟

- لا . بل كانت كعهدي بها تماماً .

ونهض بوارو قائلاً

- شكراً يا مستر بارتريدج على هذه الاجابات .. هل أستطيع أن أجد لديك دليل ا ب. س. للسكة الحديدية ، اني أريد أن أعرف مواعيد القطارات المسافرة إلى لندن من اندوفر .

- إن الدليل على الرف يقع خلفك .

وعلى ذلك الرف ، وجد بوارو مجموعة من المجلات بينها دليل برادشو ، والكتاب السنوي لأعمال بورصة الأوراق المالية ، ودليل كيلي التجاري ، ودليل الشخصيات المعروفة « هو : من هو ؟ »

وتناول بوارو دليل ا. ب. س. للسكة الحديدية ، وتظاهر بالبحث عن مواعيد بعد القطارات فيه ، ثم أعاده إلى مكانه .

وكان الشخص الثاني الذي أردنا مقابلته هو المستر البرت ريدل وكان رجلاً يختلف جداً عن المستر بارتريدج . كان يعمل في محل لطلاء المعادن .. وكان جهم الوجه ، متحفظاً في الحديث ، كبير الجسم ، عريض الوجه، يبدو الارتياب الطبيعي في عينيه . وكان حين استقبلنا في ردهة بيته قد فرغ من تناول عشائه ، وراح يشرب قدحاً من الشاي الأسود .

قال لنا وهو يحملق في وجه كل منا بسخط شديد :

- لقد قلت كل ما أعرف ، ولم يعد لدي المزيد من الأقوال .

وهنا أقبلت زوجته من المطبخ ، وقالت :

- يحسن أن تذكر للمسيو بوارو ما لديك من أقوال يا برت .

فصاح بها ثائراً :

- اسكتي أنت . ألا يكفي استجواب رجال الشرطة الملاعين لي ؟

فقال بوارو برفق :

- أعتقد انك ذهبت إلى مركز الشرطة بمحض ارادتك !

- ولماذا أفعل بحق الجحيم؟ ما شأني أنا حتى لو انطبقت السماء على الأرض؟

- إن المسألة خطيرة .. جريمة قتل . وأعتقد ان من واجب كل مواطن أن يذكر كل ما لديه من معلومات تساعد على الوصول إلى الحقيقة .

- إن لدي أعمالي الخاصة وهي التي منعتني من الذهاب الى مركز الشرطة بارادتي .

- لقد قيل لرجال الشرطة انك شوهدت تدخـــل دكان المسز اسكر حوالي الساعة السادسة ، ولهذا جاءوا لسؤالك في هذا الشأن . فهـل اقتنعوا بأقوالك ؟

- ولماذا لا يقتنعون ؟

ولما هز بوارو كتفيه ، قال الرجل في تحد وعنف :

- ماذا تريد أن تقول يا هذا ؟. إن كل الناس يعلمون من هو القـاتل ، انه زوجها اللعين بطبيعة الحال .

- ولكن أحداً لم يشاهده هناك في فترة وقوع الجريمة ، بينما شوهدت أنت ..

- أتريدين أن تثبت التهمة عليّ أيها الأجنبي ؟. أتظن أني قتلتها لأسرق علبة سجائر أو لفافة تبغ أو مجلة ؟. أتريد أن تقول عني ، كما يقول غيرك ، اني أحب منظر الدم .

ونهض الرجل مهتاجاً مهدداً متوعداً ، ولكن زوجته قالت في توسل :

- برت ، لا تقل شيئاً كهذا .

وقال بوارو بثبات :

- هدىء نفسك يا سيدي .. اني أريد فقط أن أعرف شيئاً عن ظروف ذهابك إلى الدكان .. ولست أجد أي مبرر يمنعك من أن تذكر لي هذا .

فتهالك المستر ريدل جالساً ، وقال :

- ومن قال اني ممتنع ؟

- هل كانت الساعة السادسة عندما دخلت الدكان ؟

- نعم . كانت قبل السادسة بلحظات ، ولكن هـــذا لا يهم . وكنت أريد شراء علبة سجائر ، فدفعت الباب ودخلت .

- هل كان الباب مغلقاً ؟

نعم .. وكنت أظنه مغلقاً بالمفتاح، ولكنني وجدت من الممكن فتحه..

ففتحت مصراعه ودخلت ، ولكنني لم أر احداً ، فأخذت أدق بقبضة يدي على منصة البيع ، ولما لم يسمعني أحد ، انصرفت .. هذا كل ما حدث .

– كأنك لم تر الجثة المكومة وراء المنصة ؟

– لا .. إن رؤيتها كانت تقتضي ان انحني فوق المنصة لأنظر الى ما وراءها فلماذا أفعل هذا ؟

– هل كان على المنصة دليل سكة حديد ؟

– أجل ، وكان موضوعـــاً بالمقلوب ، ومن ثم خطر لي ان المرأة العجوز سافرت فجأة ، ونسيت أن تغلق الدكان بالمفتاح .

– هل لمست الدليل أو حركته من مكانه ؟

– لا ، طبعاً .. ولماذا أفعل ؟

– ألم تر أحداً ينصرف عن الدكان ، وأنت متجه اليه ؟

– لا .. وقد ذكرت لك كل ما أعرفه عن هذا الموضوع .

ونهض بوارو وقال وهو يهم بالانصراف :

– شكراً يا مستر ريدل .

وفي الطريق ، نظر بوارو إلى ساعته وقال

– إذا أسرعنا فربما استطعنا أن نلحق قطار الساعة السابعة إلى لندن .. هلم اليه .

وفي مقصورة الدرجة الأولى بالقطار ، قلت لبوارو :

– ما رأيك ؟

– إن القاتل رجل متوسط الطول أحمر الشعر ، أحول العينين يعرج بقدمه اليمنى قليلا ، ويوجد تحت لوحة كتفه أثر جرح قديم .

فهتف قائلا

– ما هذا يا بوارو ؟

فضحك قائلا

– ماذا تريد مني أن أقول وأنا أراك تنظر الي متوسلا ، وكأنما ترجوني ان أخرج لك القاتل على طريقة شرلوك هولمز ؟ الحقيقة اني لا أعرف شيئاً عن القاتل . لا عن شكله ، ولا عن محل اقامته ، ولا أدري كيف سيمكن القبض عليه .

– لو انه ترك وراءه أثراً فقط ؟

– لقد ترك وراءه دليل السكة الحديدية .

– أتظن انه تركه وراءه خطأ ؟

– لا طبعاً . والدليل على ذلك بصمات الأصابع .

– ولكنه لم يترك على الدليل أية بصمات .

– وهذا ما يجعلني أؤمن بأنه تركه عامداً . فنحن في شهر يونية ، والحر شديد ، وليس من المعقول أن يسير رجل وفي يديه قفازات . وما دام لم يكن مرتدياً قفازات ، فلا بد ان يكون قد ترك عليه بصمات أصابعه وهو يحمله . ولكننا لم نجد بصمات أصابع ، فمعنى هذا انه حرص على مسح ما على الدليل من بصمات اصابع . ولو كان الذي ترك الدليل رجلاً بريئاً ، لما اهتم بمسح بصمات الأصابع من فوقه . ولكن لماذا تركه القاتل وراءه ؟.. هذا هو السؤال .

– ألا يمكن ان نستدل بشيء بسيط عن هذا الطريق ؟

– لا أظن يا هاستنج ان المجرم كما يبدو شخص يعتز بذكائه الخارق ، ومثل هذا الشخص لا يترك وراء سلسلة من الأدلة والآثار التي تنم عليه .

– إذن فدليل ا.ب.س لا قيمة له في هذا الأمر .

فهز بوارو كتفيه ، وقال :

– ان له قيمة من الوجهة الاستنتاجية فقط .. فالقاتل شخص ينوي أن يبقى مجهولاً باسمه ، ولكنه مع هذا أراد ان يلقي بعض الضوء على شخصيته من حيث لم يشأ .. فنحن من جهة لا نعرف عنه شيئاً ، ومن جهة أخرى نعرف

عنه الكثير . فأنا مثلاً أرى ان شخصيته بدأت تتكـون في غموض أمامي . انه رجل يكتب بخط واضح جيد ، ويستعمل في رسائله ورقاً من النوع الجيد، وفي أشد الحاجة للتعبير عن شخصيتـه اني أراه في طفولته ، طفلاً مهملاً لا يهتم بأمره أحد، وأراه في شبابه ينمو وهو يحس بأنه أقل شأناً من غيره ،وبأنه مظلوم من الناس ومن المجتمع ومن ثم أرى ذلك الحافز الداخـــلي .. الحافز الذي يدفعه للتعبير عن كيانه وشخصيته ، لتوجيه الانتباه الى شخصه . وظل هذا الحافز يقوى ويشتد ، ولكن الظروف كانت تحطمــــه وتكبته بقسوة وعنف، وتضيف المزيد من الشعور بالاهانة في نفسه . وهكذا انتهى به الأمر الى هذا الطريق الرهيب للتعبير عن ذاته .

فقلت معترضاً :

- هذا كله مجرد استنتاج .. انه لا يفيد في الكشف عن غموض الجريمة .

- انك تفضل دلائل أخرى .. طرف عود ثقاب ، رماد سيجارة ، اثار حذاء بمسامير ، خيط حريري وما الى هذه الأدلة التي لم يعد المجرمون المحدثون يتركونها وراءهم ، ولكن يمكننا أن نسأل انفسنا : لماذا ترك وراءه دليـــل ا. ب. س. للسكة الحديدية ؟ ولماذا قتل المسز آسكر بالذات ؟ ولماذا اتخذ بلدة اندوفر مسرحاً لجريمته ؟ ثم الرسالة المجهولة التوقيع ، لماذا ارسلهـــا إلي أنا بالذات ؟.. كل هذه أسئلة يمكن ان تلقي بعض الضوء على هذه الغوامض كلها؟

وبعد برهة صمت قلت :

- وماذا تنوي أن تفعل بعد هذا ؟

لا شيء ..

- كيف هذا ؟.

- ماذا تريدني أن أفعل ؟ اني لست ساحراً ولا قارىء غيب . وكل مـا يمكن ان أقوم أنا به في هذا السبيل ، سيقوم بـه رجال المباحث على وجه أكمل .

ثم أردف بعد برهة صمت أخرى .
– الشيء الوحيد أمامي هو الانتظار .. انتظار الرسالة الثانية .
فحملق فيه مندهشاً ، وقلت :
– أتتوقع ان تأتي اليك رسالة أخرى ؟
– بكل تأكيد يا عزيزي . ان نجاح المجرم في الافلات من نتائج الجريمة الأولى سيغريه بارتكاب جريمة ثانية .
وهززت كتفي في شك .

ومضت الأيام ، وحفظ التحقيق في قضية مصرع المسز آسكر ، وافرج عن زوجها .. ولم يشأ رجال البوليس ، بناء على توصية بوارو ، أن يشيروا أثناء التحقيق الى الدليل ا. ب. س للسكة الحديدية وعلى الجملة لم تلفت الجريمة اهتمام أحد خارج بلدة اندوفر . بل ان أهالي البلدة أنفسهم لم يلبسوا ان بدأوا ينسون للحادث بعد أيام معدودة

واعترف اني ، شخصياً ، كنت على وشك نسيان الحادث أيضاً ، لولا انني تذكرته بقوة في صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليه .
كنت قبل ذلك اليوم لم أر بوارو مدة يومين أو ثلاثة حيث شغلت ببعض المهام في مدينة يوركشاير . ولما عدت يوم الاثنين بعد الظهر ، رأيت بوارو يصعد الى المسكن بعد الساعة السادسة وهو يحمل خطاباً وجده في صندوق بريده ، وما كاد يفتحه ، حتى هتف قائلاً :

– لقد وصلت .
– ماذا تعني ؟
– الرسالة الثانية ..
ورحت أحملق اليه في ذهول ، بينما دفع بالرسالة إلي وطلب مني أن أقرأها
« عزي المستر بوارو حسناً .. ما رأيك ؟.. لقد انتصرت عليك ،

وجعلتك تقف حائراً عاجزاً امام جريمة اندوفر . ولكن المباراة بيني وبينك لا تزال في أولها . والآن دعني الفت نظرك الى مصيف بكسهيل في اليـــوم الخامس والعشرين من هذا الشهر .. يا لها من مباراة رائعة مسلية يا مستر بوارو !. »

المخلص

ا.ب. س

وهتفت قائلاً بعد ان فرغت من قراءة الرسالة :

– يا للسماء !.. هل ينوي هذا المجنون ان يرتكب جريمة أخرى حقاً ؟ ..

– طبعاً يا هاستنج .. الم أقل لك هذا ؟

– ولكن الأمر رهيب ..

– اننا نواجه مجنوناً دموي المزاج .

– بكل تأكيد ..

واعدت اليه الرسالة وأنا ارتعد . وكان هدوؤه قد اثارني . ولكنني لم البث ان تبينت ان الانفعالات الشديدة لن تجدي في امر خطير كهذا

وفي صباح اليوم التالي ، عقد كبار رجـال المباحث مؤتمراً خطيراً شهده المفتش جاب ومساعده المفتش كروم ، وحكمدار منطقة سسكس ونائبه كارتر ، والمفتش جلين من اندوفر ، وعالم التحاليل المشهور الدكتور ثومبسون . وقد شهدت مع بوارو هذا المؤتمر الخطير .

واستعرض الجميع الموضوع من كل جوانبه ، وحرص الدكتور ثومبسون – وكان كهلا لطيفاً – على استخدام العبارات المبسطة في تحليلاته العلمية ، اما نائب حكمدار اسكتلانديارد فقد قال

– لم يعد لدينا شك في ان الرسالتين مكتوبتان بخط واحد ، وان كاتبهما شخص واحد .

– ويمكننا ان نقول -- عن يقين – ان كاتب هاتين الرسالتين هو مرتكب جريمة اندوفر .

– تماما ولدينا الآن انذار صريح بارتكاب جريمة ثانيـة في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر وبمصيف بكسهيل .. اي ان الجريمة سوف تحدث بعد غد إذا لم نضع ايدينا على المجرم .. فما هي الخطوات الواجب اتخاذها ؟

والتفت حكمدار سكس الى نائبه مستفهما ، وقال :

– ما رأيك يا كارتر ؟

وهز نائب الحكمدار رأسه في حيرة ، وقال :

– ان الأمر جد عسير يا سيدي.. فليس هناك اية اشارة تدل على ان سوف يكون الضحية التالية . بل لا نعرف هل ستكون امرأة هذه المرة او رجلا وإذا تحدثت بصراحة ، فأنا لا ادري ماذا يمكن ان يفعله الانسان في هذه الظروف .

وغمغم بوارو قائلا .

– انني اقترح .. اعني اظن ..

والتفت الجميع اليه ، بينما استطرد هو قائلا .

– اظن ان الضحية التالية سوف يبدأ اسمها بالحرف «ب» .

فقال حكمدار اسكتلانديارد في شك :

– هذا رأي لا بأس به .

وقال الدكتور ثومبسون مفكراً :

– عقدة أ ب ؟

– اظن ان الأمر مجرد احتمال ، لا اكثر .. وقد خطر لي هـــذا الاحتمال عندما قرأت اسم اسكر او على الأصح « ا. اسكر » على لافتة دكانهـا ولما ذكر المجرم المجهول في رسالته التالية ان مسرح جريمته الثانية سيكون مصيف بكسهيل ،خطر لي ان اسم الضحية سيبدأ بالحرف «ب» حسب ترتيب الحروف

الابجدية او الهجائية في اسماء البلاد والضحايا ..

فقال الدكتور ثومبسون :

– هذا محتمل جداً ومن ناحية اخرى قد يكون اسم اسكر وبلدة اندوفر مجرد مصادفة ، وفي هذه الحالة ربما تكون الضحية التالية امرأة عجوزاً لها دكان صغير في بكسهيل ، لا تنسوا اننا نتعامل مع رجل مجنون لا نعرف بعد دوافعه على ارتكاب هذه الجرائم .

فسأله المفتش جاب قائلاً :

– وهل للرجل المجنون دوافع تبرر ارتكابه جرائم قتل ؟

– طبعاً له يا سيدي .. بل أن المجنون قد يتشبث بدوافع يعتقد تماماً انها منطقية ومعقولة وواجبة التنفيذ .. فقد يعتقد واحد منهم انه مبعوث العناية الألهية لقتل جميع القساوسة أو الأطباء ، أو النساء العجائز اللآتي يمتلكن متاجر صغيرة لبيع السجائر والحلوى . ولهذا لا يجوز أن نجري وراء نظريه الحروف الهجائية على انها هي النظرية الصحيحة تماماً .. فربما كان اسم بكسهيل بعد اندوفر مجرد مصادفة .

وهنا قال حكمدار سسكس لنائبه كارتر :

– على الأقل يحسن أن نكون على حذر في هذه الناحية ، وان نتخذ بعض الاحتياطات الممكنة ، وان ندون الأسماء التي تبدأ بحرف الباء في ذلك المصيف ، لا سيا أسماء النسوة العجائز اللاتي يبعن السجائر والحلوى في متاجر صغيرة . ولا أظن أن في مقدورنا ان نفعل أكثر من هذا ، الا ان نراقب الأجانب في تلك البلدة بصفة خاصة .

وغمغم كارتر في ضيق قائلاً :

– لقد بدأت العطلة المدرسية السنوية ، ولا شك ان مثل هذا المصيف سيكون الآن مزدحماً بالطلبة وأهليهم .

فقال رئيسه في حدة :

- علينا أن نفعل في ما وسعنا أن نفعله .

وقال المفتش جلين بدوره :

- لسوف أضع رقابة حازمة على كل شخص كانت له علاقة بجريمة اندوفر . وأهم هؤلاء جميعاً هم اسكر والرجلان بارتريدج وريدل فاذا ظهر ان احدهم سيغادر اندوفر ، فسوف يكون أحد رجالنا وراءه .

وانفض المؤتمر بعد تقديم بعض المقترحات الأخرى التي لا قيمة لها ...

وقلت لبوارو ونحن نسير على شاطىء النهر :

- بوارو . لا بد أن نمنع وقوع هذه الجريمة الثانية بأي شكل .

فرفع بوارو إلي وجهاً مرهقاً ، وقال :

- ان رجلاً مجنوناً واحداً قد يمكن ان يثير الفزع في قلب مدينة مليئة بالعقلاء . أتذكر سلسلة جرائم جاك الجزار ؟

- كانت مفزعة !

- الجنون يا هاستنج شيء رهيب .. انني خائف جداً .

الفصل الخامس

الجريمة الثانية

ما زلت أذكر ساعة يقظتي من النوم صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليو .. وأعتقد ان الساعة كانت النصف بعد السابعة .

كان بوارو واقفاً بجانب فراشي يهزني برفق من كتفي . وما أن فتحت عيني وألقيت نظرة على وجهه ، حتى تنبهت من نومي تماماً .

قلت وأنا أنتصب جالساً

ماذا حدث ؟

فقال ببساطة تخفي وراءها انفعال مكبوت :

– لقد وقع ما كنت أخشاه .

فهتفت قائلاً :

– ماذا ؟. ولكننا في اليوم الخامس والعشرين

– لقد وقعت الجريمة في الواحدة بعد منتصف الليل، أي في الساعة الاولى من اليوم الخامس والعشرين .. هذا اليوم .

فوثبت من فراشي واغتسلت بسرعة . وراح بوارو يحدثني بما سمعه في التليفون وانا أرتدي ملابسي ، فقال :

– وجدت جثة فتاة شابة على شاطىء مصيف بكسهيل . وعرفت انها

لفتاة تدعى بيتي بارنارد « واسمها الكامل اليزابيث برنارد » ، وكانت تعمل مضيفة في أحد المقاهي ، وتعيش مع والديها في بيت صغير من طابق واحد مبني حديثا . ويقول الطبيب الذي فحص الجثة ان الوفاة حدثت فيما بين الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحا .

فسألته بسرعة وأنا أضع الصابون على ذقني :

– وهل أيقن رجال الشرطة أن هذه هي الجريمة التي كنا نتوقع حدوثها ؟

– عثرو تحت جثة الفتاة على دليل برادشو للسكة الحديدية .

فقلت وأنا أرتعد :

– ان هذا أمر رهيب !..

– تمالك نفسك يا هاستنج . فأنا لا أريد مأساة اخرى في مسكني هذا .

مسحت قطرات الدماء التي انبعثت من جرح في وجهي أثناء الحلاقة .

وقلت ماذا تنوي أن تفعل ؟

– لسوف تأتي سيارة الشرطة بعد لحظات لتقلنا الى مسرح الجريمة .

وفي خلال ربع ساعة ، كانت سيارة الشرطة السريعة تنطلق بنا خارج مدينة لندن .

وكان معنا المفتش كروم الذي شهد المؤتمر في اليوم الأسبق ، والذي عهد اليه بالتحقيق في هذا الحادث .

وكان كروم يختلف كثيراً عن المفتش جاب فهو أصغر سناً ، وأميل الى الصمت والى الترفع عمن حوله ، وأكثر علما وثقافة ، وكان يبدو لي شديد الأعجاب بنفسه ، لا سيما بعد ان نال وسام الكفاءة الممتازة عقب قضائه على عصابة خطف الاطفال قبل أن يتسع نطاق أعمالها .

والواضح انه كان الشخص المناسب لتولي هذه المهمة الخطرة . ولكن عيبه الوحيد انه كان يدرك هذه الحقيقة ، فيزهو في أعماق نفسه ، ويعامل الذين حوله كأنهم اطفال صغار

قال بوارو بلهجة الرئيس المترفع الذي يتحدث الى انسان بسيط :

تحدثت طويلاً مع الدكتور ثومبسون ، وهو كما نعرف ، شديد الاهتمام بهذا النوع من الجريمة « المسلسلة » أو « الجريمة التي ترتكب على حلقات » ويعتبرها انموذجاً على الاضطراب العقلي الذي يتميز بطابع معين . وقد أفاض الدكتور في شرح نظريته طويلاً ، وضرب المثل عليها باخر قضية عن القضايا التي كانت في عهدتي . ولعلك قرأت عنها ، انها قضية مابل هومر ، الطالبة في مدرسة مازويل هل .

ثم راح يفيض في الحديث عن هذه الجريمة الغامضة التي استطاع ان يكشف غموضها ويقبض على مرتبها في أسرع وقت .

وبعد أن سادت بيننا فترة من الصمت ، قال كروم عندما تجاوزنا محطة نيوكروسي :

– إذا أردت ان تستفسر عن شيء عن هذه الجريمة ، فيمكنك أن تسألني.

– هل وصلتكم بعض التفاصيل عن شكل الفتاة ؟ وعن بعض ظروفها الاجتماعية ؟

– كانت في الثالثة والعشرين من عمرها ، وتعمل في مقهى جنجركات .

– ترى هل كانت جميلة ؟

فرفع كروم حاجبيه ، ثم قال في اقتضاب :

– هذا ما لم نعرفه بعد .

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي بوارو ، وهو يقول :

– أتري ان هذا لا اهمية له ! حسناً ، انني أرى ان لجمال الفتاة في مثل هذه الظروف الأهمية الأولى .

ويبدو ان المفتش كروم قرر أن يضع للمحادثة نهاية ، إذ قال ببرود :

آه ، نعم ..

وظل الصمت مخيماً حتى بلغنا بلدة سيفن اوك ، عندما قال بوارو :

- هل عرفت ، على نحو ما ، كيف خنقت الفتاة ، وبأي شيء ؟

فأجاب كروم بايجاز

- خنقت بحزامها .. وهو حزام ثوبها الذي كانت ترتديه .. حزام مفتول متين ، معقد .

فاتسعت عينا بوارو ، وقال ·

- آها ! لقد استطعنا أخيراً أن نعرف شيئاً محدداً .

- انني لا أرى في هذا ما يدل على شيء معين .

- اعتقد انه يدل على عقلية المجرم الوحشية المضطربة .

وساد الصمت بقية الرحلة ..

واستقبلنا في بكسهيل نائب حكمدار سسكس ، المفتش كارتر ، وكان معه شاب و يم باسم هو المفتش كيسلي الذي عهد اليه بمعاونـــة المفتش كروم في مهمته .

وقال المفتش كارتر .

- أعتقد انك تفضل القيام بتحرياتك الخاصة يا كروم . ولهـذا سأكتفي بذكر الخطوط العامة للجريمة ، لكي أترك لك حرية البحث والتحقيـق على طريقتك الخاصة

فقال كروم :

- شكراً يا سيدي ..

- لقد أبلغنا النبأ الى والديها ، وكانت الصدمة ، بطبيعة الحال ، قاسية . وقد تركتهما حتى يستردا بعض هدوئهما ، وعليك ان تبـــدأ بسؤالهم الآن إذا شئت .

وسأل بوارو :

- هل هناك أفراد اخرون يهمهم الأمر في محيط أسرتها ؟

- ان لها اختاً تعمل على الآلة الكاتبة في لندن . وهناك شاب يقال انـــه

خطيبها وانها كانت على موعد للخروج معه أمس .

وسأل كروم قائلاً :

– هل استطعتم ان تجدو شيئاً جديداً من دليل السكة الحديدية الذي وجد تحت الجثة ؟

فأشار نائب الحكمدار الى منضدة في غرفته وقال :

– أنه على هذه المنضدة ، ولم نجد عليه اية اثار لبصمات أصابع ، وهو دليل جديد .. وقد وجدناه مفتوحاً على الصفحة التي فيها اسم بكسهيل ، ويبدو أن المجرم اشتراه من مكان بعيد عن هنا ، لأننا سألنا جميع أصحاب المكتبات الموجودة في المنطقة .

– ومن الذي اكتشف الجثة يا سيدي ؟

– ضابط متقاعد برتبة كولونيل .. وقد اعتاد الخروج مبكراً في السادسة صباح كل يوم مصطحباً كلبه .. لاستنشاق هواء الصبح النقي ..وبينما هو يسير على الشاطيء في اتجاه بلاج كورين انطلق كلبه فجأة ، وراح يتشمم شيئاً على الشاطيء .. فلما تبعه صاحبه ، شاهد الجثة ، فاسرع – دون ان يلمس شيئاً – لأبلاغ الشرطة بالأمر .

وتحدد وقت الوفاة بمنتصف الليلة الماضية .

– نعم ، فيما بين الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحاً .. وهذا مؤكد ، ويبدو أن مجرمنا المجنون مصر على ان يكون عند وعده . وهكذا ارتكب جريمته في اللحظات الأول من اليوم الخامس والعشرين كما وعد .

فأومأ كروم برأسه ، وقال :

– نعم ... هذه عقلية مختلفة قطعاً .. أليس ثمة تفاصيل أخرى ؟ ألم ير أحد شيئاً قد يفيد التحقيق ؟

– لا شيء حتى الآن ، ولكننا ما زلنا في ساعة مبكرة ، وأكبر ظني ان كل واحد شاهد أمس شخصاً يسير مع فتاة في ثوب ابيض ، سوف يأتي ويدلي

الينا بأقواله وأعتقد ان عدد الفتيات ذوات الملابس البيضاء اللاتي سرن أمس مع رجال أو شبان لا يقل عن خمسمائة ، وعلى هذا سيكون عدد الشهود ضخماً .

فقال كروم

– حسناً يا سيدي ، يحسن ان ابدأ عملي الآن . وهناك بيت الفتاة ، والمقهى الذي كانت تعمل فيه . وسأذهب الى الاثنين ، بادئاً بالمقهى .

وتساءل نائب الحكمدار قائلاً ، وهو يلتفت الى بوارو :

فقال هذا وهو ينحني برأسه للمفتش كروم :

– يسرني أن اذهب معه .

ولاح لي ان كروم لم يعجبه هذا .. أما المفتش الشاب كيسلي الذي لم يكن رأي بوارو من قبل ، فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة .

وقال كروم :

وماذا عن الحزام الذي كان أداة القتل : ان المسيو بوارو يعتقد أن له دلالة كبيرة ، ولا شك انه يريد ان يراه .

فقال بوارو بسرعة :

– لا .. لا .. يبدو انك اخطأت فهم ما أقصد .

وقال المفتش كارتر :

– انك لن تستطيع ان تجد في هذا الحزام ما يفيد التحقيق . انه ليس حزاماً من الجلد الذي قد تكون عليه بصمات أصابع ، وإنما هو حزام من الحرير المفتول الذي يصلح تماماً لمثل هذا الغرض .

وارتعدت مرة أخرى ، بينما قال كروم

– حسناً . هلم الى العمل .

– وبدأنا اولاً بزيارة مقهى جنجركات الذي يقع في مواجهة البحر ، وكان من المقاهي النموذجية الصغيرة التي تكثر في المصايف حيث يشرب فيها الرواد

القهوة والشاي والمرطبات ، أو يتناولون بعض الوجبات الخفيفة . وكان بعض الرواد المبكرين قد جلسوا الى موائدهم يشربون قهوة الصباح ، ومن ثم أسرعت مديرته وأدخلتنا الى غرفة خاصة لا تلفت الينا الأنظار .

فقال لها المفتش كروم متسائلا :

- المس .. ماريون ؟

فقالت مديرة المقهى بصوت ناعم يشوبه الحزن :

- أجل . اجل ، هذا هو اسمي ، ان ما حدث أمر رهيب مزعج أخشى أن يكون له أثر سيىء على العمل هنا .

وكانت المس ماريون سيدة في نحو الأربعين من عمرها ، نحيفة جداً ، وفي حالة اضطراب عصبي تدل عليه حركات أصابعها التي كانت تنقبض وتنبسط بلا توقف .

وقال لها المفتش كيدلي مشجعاً

- بالعكس يا مس ماريون .. ان ما حدث سيدفع الكثيرين الى الحضور الى هذا المقهى بالذات ، بدافع من الفضول .

- آه ، هذا محتمل . ولكنه شيء منفر ، مزعج ، انه يدل على قسوة الطبيعة البشرية

ولكن وميض السرور بالرواج المنتظر كان واضحاً في عينيها ..

وسألها المفتش كروم قائلا :

- ماذا يمكن أن تحدثيني به عن المجني عليها يا مس ماريون ؟

- لا شيء .. لاشيء اطلاقاً .

- منذ متى وهي تعمل هنا ؟

منذ الصيف الماضي .

- هل كانت راضية عن عملها ؟

نعم .. كانت مضيفة بارعة ، وسريعة في تقديم الطلبات .

وسألها بوارو قائلا .
– هل كانت جميلة ؟
ورمقت المس ماريون بوارو بنظرة ، وكأن لسان حالها يقـــول : « يا لوقاحتكم أيها الاجانب » . ثم قالت :
- كانت وسيمة لطيفة الشكل .
وسألها كروم قائلا :
- متى انصرفت عن عملها في الليلة الماضية ؟
– في الساعة الثامنة مساء ، اننا نغلق المقهى في مثل هذا الوقت ، لأننا لا نقدم وجبة العشاء لأحد .
- ألم تذكر لك كيف كانت تنوي أن تقضي سهرتها ؟
فقالت المس ماريون بلهجة تأكيد :
– طبعاً لا . ان علاقتنا الخاصة لم تصل الى هذا الحد .
– ألم يحضر أحد للخروج معها ، أو للسؤال عنها :
– لا . .
– هل كانت في حالتها الطبيعية؟ أعني ألم يبد عليها اضطراب أو انفعالات نفسية معينة ؟
فقالت المس ماريون في حذر :
– انني لا أعرف على وجه التحديد .
– كم عدد المضيفات العاملات في هذا المقهى ؟
- اثنتان بصفة دائمة ، واثنتان بصفة احتياطية ابتداء من اليوم العشرين من يوليه حتى اخر اغسطس .
- وهل كانت بيتي بارنارد مضيفة احتياطية ؟
– لا بل . بل كانت مضيفة أصلية
- وماذا عن الأخرى ؟

– أتعني المس هيلي ؟. انها فتاة لطيفة .

– هل كانت هي وبيتي بارنارد صديقتين ؟

- هذا ما لا أجزم به .

-- هل يمكننا إذن أن نتحدث مع المس هيلي ؟

- الآن ؟

– إذا امكن .

فنهضت المس ماريون قائلة :

- سأبعث بها إليكم ، وأرجو الا تحجزوهـــا طويلاً ، لأن رواد المقهى يكثرون في هذه الساعة .

وبعد لحظات أقبلت فتاة ممتلئة الجسم ، سوداء الشعر ، متوهجة الوجـه بالانفعالات ، لاهثة الانفاس وهي تقول :

– لقد ارسلتني المس ماريون .

– أنت المس هيلي ؟

– نعم . أنا

– أكنت تعرفين بيتي بارنارد ؟

-- أوه ، طبعاً ! أليس ما حدث لها رهيباً ؟ . اني لا اكاد أصدق مـا حدث ، لا اكاد اصدق ان بيتي التي كانت أمس متوقدة بالحياة تصبح اليـــوم جثة هامدة .. اني في حلم مزعج .

وسألها المفتش كروم قائلاً :

– هل كانت علاقتك بها وطيدة ؟

– كانت اقدم مني في العمل ، لأني بدأت عملي في مارس الماضي ورأيي عنها انها كانت فتاة لطيفة هادئة ، لا تميل كثيراً الى الضحك والمزاح . ولكن هذا لا يعني انها كانت ثقيلة الظل أو باردة العواطف وإنما أقصد ان أقول انها كانت متحفظة في علاقاتها مع زميلاتها هنا .

وبعد حديث طويل ، فهمنا من المس هيلي انها لم تكن صديقـة للمجني عليها ، وانها – أي بيتي بارنارد – كانت تتبادل الحب مع شاب يشتغل كاتباً في مؤسسة لتأجير المساكن والمنازل المفروشة بالقرب من المحطة وان الشاب وسيم تتمناه كل فتاة .

وبعد انصرافها تحدثنا مع المضيفتين الاحتياطتين ، ولكننـــا لم نخرج من حديثنا معهما بشيء جديد .

الفصل السادس

مزيد من الغموض

كان والدا بيتي بارنارد يعيشان في فيللا صغيرة ، تقع بين خمسين مسكناً مشابهاً لها ، مشيدة في ضاحية المصيف . وكان الوالد — المستر بارنارد — رجلاً كبير الجسم ، حائر السمات ، في نحو الخامسة والخمسين من عمره ، ويلوح انه رآنا مقبلين ، فوقف ينتظرنا عند مدخل مسكنه .

وقال بعد أن حيانا عند هبوطنا من السيارة :

— تفضلوا بالدخول أيها السادة .

وأخذ المفتش كيسلي يقدمنا اليه الواحد بعد الآخر ، حتى اذا علم الوالد ان المفتش كروم من رجال اسكوتلانديارد ، قال بحماس :

— هذا شيء طيب جداً .. نعم . يجب ان تبذل اسكوتلانديارد جهدها للقضاء على ذلك المجنون الذي قتل طفلتي .

واختلج وجهه بالألم الممض ، فلم يتم عبارته

وفي غرفة الاستقبال ، قال :

— لا أدري هل ستستطيع زوجتي المسكينة أن تحضر لاستقبالكم أو لا؟..

فالواقع أن الصدمة هدت كيانها

ولكن زوجته استطاعت بعد فترة وجيزة ان تحضر ، وهي تحاول جاهدة

أن تسيطر على نفسها فلا تستأنف البكاء . وكانت عيناها المتورمتان تدلان على كثرة الدموع الحارة التي ذرفتها طيلة الليل .

قال زوجها وهو يربت على كتفها ، ويهيىء لها مقعداً تجلس عليه :

ـ لقد كان نائب الحكمدار شفوقاً بنا .. أبى أن يسألنا عن شيء بعد أن بلغنا النبأ ، ولا شك انه أراد أن يتركنا بضع ساعات نسترد فيها بعض هدوئنا .

وغمغمت المسز بارنارد بصوت كله الدموع :

ـ إنه لأمر فظيع .. إنها قسوة مريرة .. قسوة ليس لها مثيل .

وقال المفتش كروم :

ـ ان الأمر فظيع حقاً يا سيدتي . ولهذا أرجو ان نعرف كل ما يمكن من الحقائق حتى نقبض على القاتل في أسرع وقت .

وأومأ المستر بارنارد موافقاً ، بينما أردف كروم قائلاً :

ـ كانت بيتي تقيم معكما هنا كما فهمت ، وكانت تشتغل مضيفة في مقهى جنجر كات ؟

ـ أجل ..

ـ وبيتكم هذا جديد .. اليس كذلك ؟. أين كنتم تقيمو من قبل ؟

ـ كنت أعمل في تجارة الحديد بمدينة كنجتون ، واعتزلت العمل منذ عامين .. وكنت أرجو دائماً أن أقضي بقية عمري في بيت على شاطىء البحر .

ـ إن لك ابنتين ؟

ـ أجل .. الكبرى تعمل في مكتب بلندن .

ـ ألم تنزعج حينما تأخرت ابنتك عن الحضور أمس ؟

فقالت المسز بارنارد بصوتها الباكي

ـ إننا لم نعرف انها تأخرت . فنحن الوالد وانا ننام عادة في ساعة

مبكرة . ننام في الساعة التاسعة مساء . ولهذا لم نعرف ان بيتي تأخرت في الحضور إلا بعد ان جاء رجال الشرطة .

وتهدج صوت الأم ، وتوقفت عن إتمام الحديث . فقال كروم :

– هل كان من عادة ابنتك ان .. أن تتأخر في العودة الى البيت ؟

فقال الوالد :

- أنت تعرف كيف تتصرف الفتيات في هذا الزمن يا سيدي المفتش .. إنهن يرفضن القيود ويتمادين في التحرر من رقابة الآباء . ولكن بيتي بوجه عام . كانت لا تتأخر عن الحادية عشرة مساء .

– وكيف كانت تدخل البيت ؟ هل هناك من يفتح لها الباب ؟

– لا .. كنا نضع لها المفتاح تحت مشاية الباب .

– يقولون ان ابنتك .. مخطوبة لشاب ؟!

– انها لم تكن مخطوبة رسمياً ، ولكن علاقتها به كانت مقدمة للخطبة . وهو يدعى دونالد فريزر .. شاب لطيف مستقيم ، ولا شك انه سيحزن أشد الحزن ..

– انه يعمل كاتباً في مؤسسة لتأجير المنازل ؟!

– اجل .. مؤسسة كورت وبرنسكيل

– هل كان معتاداً ان يلتقي بابنتك كل ليلة بعد أن يفرغا من العمل ؟

– لا . ليس كل ليلة .. مرة أو مرتين في الأسبوع فقط .

– ألم تعرف ما اذا كانت تنوي مقابلته الليلة الماضية أم لا ؟

– انها لم تقل لنا شيئاً عن هذا .. ولم تكن بيتي تكثر الحديث عن شؤونها الخاصة معنا او مع غيرنا ، ولكنها في جملتها كانت فتاة طيبة مستقيمة – اوه .. انني لا أصدق . لا أصدق .

– تمالك نفسك يا مستر بارنارد

– انني اتمنى لو أستطيع ان أضحي بحياتي لأعاونكم في القبض على ذلك

الجرم . لقد كانت بيتي فتاة مرحة ضاحكة مقبلة على الحياة كالطائر الغريد ، ولا أذكر انها أساءت الى احد ، أو ارتكبت شيئاً تستحق اللوم عليه . انها لا تستحق هذه الميتة . لست أدري لماذا قتلها ذلك المجرم المجهول لا أدري إطلاقاً .

فقال كروم مواسياً :

– تأكد يا مستر بارنارد اننا لن نستريح حتى نضع أيدينا على ذلك المجرم . والآن أحب أن القي نظرة على غرفة بيتي الخاصة ، إذ ربما نجد بين أوراقها او رسائلها ما ينير لنا السبيل .

فنهض المستر بارنارد وقال :

– تفضلوا معي .

ومضى اولاً ، وتبعه المفتش كروم ، ثم المفتش كيسـلي ، ثم بوارو ، وأخيراً أنا .

وتوقفت قبل الوصول الى غرفة بيتي لأحكم رباط حذائي . وعندئذ سمعت سيارة مأجورة تقف أمام باب المسكن ، فنظرت من النافذة فرأيت فتاة في نحو الخامسة والعشرين تقفز منها وتدفع الأجر للسائق ، ثم تدخل البيت حاملة حقيبة سفر صغيرة في يدها . وما كادت تراني حتى تسمرت في مكانها وتمتمت قائلة :

– من أنت ؟

وهبطت الدرجات القليلة التي تفصلنا ، وأنا في حيرة من أمري .. إذ لم أكن أدري هل أذكر لها اسمي أو أكتفي بالقول باني من رجـال الشرطة . وأراحتني هي بقولها :

– آه . أستطيع أن أستنتج من أنت .

ورفعت قبعتها البيضاء الصغيرة ، وأمعنت النظر الى وجهها الذي لم يكن بالغ الجمال وان لم يخل من الجاذبية .. وقلت لها :

- انك المس بارنارد .. اليس كذلك ؟

- اجل .. ميجان بارنارد .. انك من رجال المباحث .. اليس كذلك ؟

- الواقع انني .

فقاطعتني قائلة

- لا أظن ان لدي ما أقوله لك ، فقد كانت اختي فتاة طيبة مستقيمة ، ليس لها اي اتصال بالرجال .. طاب صباحك .

وأرسلت ضحكة قصيرة تنم عن التحدي ، وأردفت قائلة :

- ان هذه هي العبارات التقليـدية التي تقال في مثل هذه المنـاسبة .. اليس كذلك ؟

- انني لست مندوباً صحفياً اذا كان هذا ما ظننت

فتلفتت حولها وقالت

- حسناً .. من انت إذن ؟ أين أبي وأمي ؟

- إن أباك مع رجال المباحث في غرفة اختك الخاصة .

وارتسم التردد على وجه الفتاة برهة ، ثم اذا هي تقول فجأة :

- تعال معي .

وتبعتها الى غرفة صغيرة بجوار المطبخ ، وفيما انا احاول إغلاق الباب ، اذا بوارو ينفلت داخلاً ويغلقه وراءه ، وهو يقول منحنياً للفتاة :

- المس بارنارد كما أظن ؟

وقلت انا لها :

- هذا هو المستر هيركيول بوارو المخبر السري الخاص

وقالت الفتاة :

- سمعت عنك يا سيدي . يقولون انـــك بارع في الكشف عن الجرائم المعقدة التي يعجز رجال اسكوتلانديارد عن حلها .

- انهم يبالغون يا آنستي ..

وجلست الفتاة على حافة مائدة في وسط الغرفة ، وتناولت من علبة سجائرها واحدة وضعتها في جانب فمها واشعلتها، ثم قالت وهي ترسل سحائب الدخان من شفتيها :

- انني لا أفهم لماذا يهتم المسيو بوارو بجريمة عادية كهذه ؟

فقال بوارو :

- ان الذي لا تفهمينه يا آنستي ، والذي لا أفهمه انا ، قد يملأ مجلدات ضخمة . ولكن هناك أشياء يمكن ان يفهمها كل انسان .

– مثل ماذا ؟..

– مثل الموت الذي يجعل الأحياء لا يتحدثون عن الموتى الا بالخير ، مع ان هذا قد لا يكون من الصدق في شيء.. لقد سمعتك الآن ، مثلاً ، وانت تقولين لصديقي الكابتن هاستنج ان اختك كانت فتاة طيبة مستقيمة ليس لها علاقات بالرجال . وقد أدركت من نبرات صوتك انك تريدين ان تقولي عكس هذا . وسواء كنت مصيباً في هذا الادراك او مخطئاً ، فالمهم اني أريد ان أتحدث مع شخص يعرف كل شيء عن بيتي ، ويذكر كل ما يعرفه بلا مجاملة او مراوغة حتى نستطيع ان نحدد موقفنا من هذه الجريمة .

وصمتت الفتاة برهة كانت خلالها تحملق في وجه بوارو .. وفجأة قالت :

– كانت بيتي فتاة حمقاء متهورة .

* * *

وانحنى بوارو للفتاة في أعجاب ، وقال :

– انني أحيي فيك هذه الصراحة يا مس بارنارد، وقد صدق حدسي بأنك

فتاة لا ينقصها الذكاء.

- كنت أحب بيتي كل الحب ولكن هـذا الحب لم يكن يحجب عن عيني الحقيقة ، وهي انها كانت غبية ، متهورة ، لا تعرف ما يضرها ومـا ينفعها . وكثيراً ما قلت لها هذا في بعض المناسبات . وهـذا ما تفعله الاخوات عادة .

- وهل كانت تهتم بملاحظاتك ونصائحك ؟

لا أظن .

- أرجو أن تكون اجاباتك محدودة يا آنستي .

فترددت الفتاة برهة ، ثم قالت أخيراً :

- لم تكن بيتي أبداً شريرة بطبعها او منحلة الأخلاق . وأحب أن تتأكد من هـذه الحقيقة تماماً .. انهـا لم تكن من النـوع الذي يقضي نهاية الأسبوع مع أي رجل يدفع الثمن . لا .. مطلقاً .. كل ما في الأمر انهـا كانت فتاة لعوبـاً في براءة ، تحب ان تخرج مع الشبـان الى النزهات ، والى دور السينما ، وان تسمعهم وهم يرددون عبارات الغزل لها .. هذا هو كل ما في الأمر .

- هل كانت جميلة ؟

وعندئذ تناولت ميجان من حقيبة يدها صورة صغيرة وقدمتها الينا . وقد رأينا في الصورة وجهاً باسماً لفتاة لا تستطيع ان تقول بأنه جميل .

وقال بوارو وهو يعيد الصورة لميجان :

- انها كبيرة الشبه بك ..

- لا .. كانت أجمل مني .

- حسناً .. وكيف كانت علاقتها بالشاب دونالد فريزر ؟

- كانت تبادله الحب . ولكنه كان يحبها بجنـون ، بينما كانت هي تحبه باعتدال . وكثيراً ما كنت أخشى ان ينفض يديه منها يأساً بسبب

تصرفاتها التي طالما أثارت المنازعات بينهما . هذا كل ما لدي من أقوال . طاب يومكما .

ولكن بوارو أسرع يقول لها قبل ان تنصرف :

– مهلاً يا آنستي .. ان الجريمة التي ذهبت اختك ضحيتها ليست من الجرائم البسيطة التي تحدث كل يوم. انها أخطر من هذا بكثير ، ومن ثم أرجوك أن تتريثي قليلاً وتزيدي من تعاونك معنا ..

ثم راح يسرد عليها ما حدث في اندوفر ، ودليل السكة الحديدية الذي وجدت نسخة منه في مسرح الجريمة الأولى، ثم في مسرح الجريمة الثانية ، وقرأ عليها الرسالتين اللتين تلقاهما من المجرم المجهول فلما فرغ ، نظرت الفتاة اليه في دهشة بالغة ، وقالت .

– هل حقاً هذا كله يا سيدي ؟

– نعم ..

– أتعني ان تقول ان قاتل اختي رجل مجنون ، تطغى عليه شهوة سفك الدماء ؟.

– تماماً ..

– اوه ! بيتي . بيتي .. يا للمسكينة ! اذن لم يكن لها ذنب فيما حدث لها ؟

– إن في مقدورك الآن يا آنستي ان تحدثينا بكل ما تعلمين حتى تستطيع ان نقدم هذا القاتل المجنون الى العدالة

– نعم ، نعم . هذا ما ينبغي .

– اذن لنصل حديثنا الذي انقطع لقد فهمت ان دونالد فريزر كان ناقماً على تصرفات اختك ، وان المنازعات كانت تكثر بينهما بسبب غيرته الشديدة عليها !

فقالت ميجان بارنارد بهدوء :

– سوف أضع ثقتي فيك يا مسيو بوارو . وأرجو ألا تخبر أحداً بما سأقوله لك عن اختي . والواقع ان دونالد من الشبان الهادئين الذين يتحملون كثيراً ، ولكنهم يختزنون الإساءات ويكبتون المشاعر ، ثم ينفجرون بعنف شديد . وهذا ما كان يحدث مع اختي . كان شديد الغيرة عليها ، وكان يحبها بعنف ، ولكن بيتي لم تكن تحبه بمثل هذا العنف .. كانت تحبه حقاً ، ولكنها لم تكن من النوع الذي يكتفي بحب شخص واحد فلا ترى غيره في الدنيا .

نعم ، انها لم تكن من هذا النوع ، وان كانت تحب الوسامة والجمال في كل شاب تتعرف اليه ، وتقضي معه فترة من الوقت في نزهة او سينما وكانت بحكم عملها في المقهى – طبعاً كثيرة التعرف بالشبان والرجال ، لا سيما في موسم الاصطياف ، وأؤكد لك ان الأمر لم يكن يزيد بينها وبين اي شاب او رجل عن الخروج معه في نزهة قد تستغرق اليوم كله ، او الذهاب في صحبته الى دار سينما . وبمعنى آخر ، انها لم تكن جادة في علاقاتها بأي شخص آخر غير دونالد .

وكثيراً ما كانت تقول لي انها سوف تتزوجه في النهاية ، وتستقر معه في حياة زوجية سعيدة بعد ان أشبعت نفسها باللهو والمرح .

وتوقفت ميجان برهة عن الحديث ، فقال بوارو :

– انني أفهم تماماً هذا الوضع يا مس بارنارد .. استمري .

– ولكن دونالد فريزر لم يكن يفهم هذا الوضع .. وانما كان يفهم انه كان عليها ان تحبه كما يحبها تماماً .. بنفس القوة والاخلاص والتفاني . وقد ادى هذا الاختلاف في فهم الحب الى منازعات شديدة بينهما .

– متى كانت اخر هذه المنازعات ؟

– منذ شهر تقريباً .. كنت قد عدت من عملي في نهاية الأسبوع ، عندما

علمت انهما تشاجرا بعنف ، حتى لقد فزعت بيتي من دونالد ولكنني صالحتهما وأسرفت في تعنيف بيتي ، وحاولت ان أبين لها خطأ ذلك التمادي في العبث واللهو مع الشبان الآخرين ، وقد أكدت لي بدورها انها تحب دونالد ، وان كل علاقاتها بغيره مجرد صداقة عابرة بريئة وتسلية لا ضير فيها ، وكانت قد تعودت بعد منازعة شديدة سابقة .. ان تكذب عليه أحياناً خوفاً من إثارته .

وكان مبدؤها ان الذي لا يعرفه العقل لا يحزن عليه القلب . وقد حدثت هذه المنازعة الأخيرة لأن بيتي قالت له انها ستذهب لقضاء يوم في بلدة هاستنج مع صديقة لها . ولكن دونالد اكتشف انها ذهبت الى بلدة ايستبورن مع صديق .. وعلم ان هذا الصديق متزوج ، وانه كان يخرج مع بيتي سراً . وهذا ما أثاره وأخرجه عن طوره . وقد احتجت بيتي على غضبه قائلة انهما لم يتزوجا بعد ، وإن من حقها ان تخرج مع من تشاء . وقد ضاعف هذا من ثورة دونالد ، حتى كان يرتعد ويصيح قائلاً : إنه سيضطر ذات يوم الى الى ..

– الى ماذا يا مس بارنارد ؟

فقالت بصوت خافت :

– الى ارتكاب جريمة .

– وهذا ما يجعلك خائفة من الحديث في هذا الموضوع ؟

– انني لم أكن أظن انه جاد في تهديده . إطلاقاً .. ولا أعتقد لحظة انه هو القاتل . ولكنني كنت أخشى ان أتحدث بهذا كله ، فألفت اليه أنظار رجال المباحث ، لا سيما وان عدداً كبيراً من الناس قد سمعوه وهو يقول هذا .

فقال بوارو :

– لولا غرور المجرم المجهول الذي يبدو في وضعه لدليل السكة الحديدية كل

مرة مع الجثة ، لتركزت الشبهات على دونالد فريزز فعلاً .

وفي تلك اللحظة ، صلصل جرس الباب الخارجي ، فأطلت ميجان برأسها خلسة من النافذة ، ثم عادت تقول :

– إنه دونالد . .

فقال لها بوارو :

– دعيه يأتي الينا اولاً قبل ان يراه أصدقائي المفتشين . .

وانفلتت ميجان حيث غابت لحظـة ، ثم عادت ومعها الشاب دونالد فريزر .

الفصل السابع

الرسالة الثالثة

وأحسست بالعطف على الشاب حين رأيته مقبلاً مع ميجان .. ذلك ان وجهه الشاحب المرهق كان ينم عما يصطرع في أعماق نفسه من آلام وأحزان .

كان وسيماً ، رياضي الجسم ، يكاد يبلغ طوله ستة أقدام ، بارز الوجنتين ، له شعر أحمر كألسنة اللهب .

وكان يقول لميجان وهو مقبل معها :

– ما هذا يا ميجان ؟ لماذا تدخلينني هنا ؟ لقد سمعت الآن فقط أن .. ان بيتي .

وتهدج صوته . ثم ترنح في وقفته ..

فقدم بوارو اليه مقعداً تهالك عليه ، ثم تناول – اي بوارو – من جيبه الخلفي زجاجة براندي صغيرة ، سكب منها قليلاً في كأس قدمها الى دونالد قائلاً :

– إشرب هذا يا مستر فريزر ، إنه يفيدك الآن

وأطاع الشاب الأمر فظهر أثر الشراب سريعاً فأعاد الدماء الى وجهه فهدأ بعض الشيء ، وجلس منتصباً في مقعده ، وهو يقول في اضطراب :

– هل حقاً ما سمعت ؟ هل ماتت بيتي . مقتولة ؟

– نعم يا دونالد ..

فقال بلهجة آلية :

– وهل جئت من لندن فوراً يا ميجان ؟

– نعم .. لأن أبي اتصل بي تليفونياً .

– في قطار التاسعة والنصف على ما أظن ؟

– نعم ..

وبعد برهة صمت ، عاد يقول :

– وهل يقوم رجال المباحث بتحرياتهم الآن ؟

– إنهم في الطابق الأعلى الآن .. في غرفة بيتي .

– إنهم لا يعرفون من ؟. ليست لديهم أية فكرة عن ؟.

ثم توقف عن الحديث فجأة ، وقد عاد وجهه الى الامتقاع . وهنا تقدم بوارو منه قليلاً ، وقال له :

– ألم تخبرك بيتي اين كانت تنوي الذهاب ليلة أمس ؟

– قالت انها ستذهب مع صديقة لها الى بلدة سانت ليونارد .

– وهل صدقتها ؟

فهتف دونالد بحرارة

– ماذا تعني بحق الشيطان ؟

واربد وجهه بانفعالات عنيفة ، جعلتني اؤمن ان بيتي كانت على صواب في تجنبها إثارة غضبه .. وقال بوارو :

إن سفاك دماء ، مجنوناً قتل بيتي .. ولكي نصل الى الحقيقة يجب أن نلتزم الصراحة التامة في أحاديثنا .

وهنا قالت ميجان :

– اجل يا دونالد . ليس هذا وقت العواطف . يجب ان تذكر كل ما تعرفه

في هذا الشأن .

ونظر دونالد بارتياب الى بوارو ، وقال :

– من أنت ؟ انك لست من رجال المباحث العامة ؟

فقال بوارو ببساطة توحي بأنه يؤمن تماماً بما يقول :

– انني خير منهم .

وقالت ميجان :

– صارحه بكل شيء يا دونالد .

فهدأت ثائرة دونالد ، وقال ببساطة .

– انني غير واثق من شيء . كنت قد صدقتها حين قالت لي هذا. ولكنني بدأت أتساءل فيما بعد .. بدأت أرتاب ..

- لماذا ؟

– انني أشعر بالخجل الآن من شكوكي في أمرها . وأياً كان الأمر ، فقد ذهبت الى شاطىء البحر لأرقبها ، وهي تنصرف من المقهى . ولكنني تراجعت خشية ان تراني بيتي ، فتعتقد فوراً انني أراقبها ..

– إذن ماذا فعلت ؟

- ذهبت إلى سان ليونارد حيث بلغتها في الثامنة مساء،ثم شرعت أراقب جميع السيارات العامة الآتية من بكسهيل آملاً ان أراها وهي تهبط مع صديقتها من إحداها .. ولكنني لم أرها

– ثم ماذا ؟

– غضبت جداً ، وأيقنت انها .. انها مع رجل آخر ، وان من المحتمل أن يكون قد صحبها في سيارته الى مدينة هاستنجز. وذهبت الى هذه المدينة، ورحت أتطلع إلى فنادقها ومشاربها ومطاعمها ، وأحوم حول مداخل دور السينما فيها ، ثم مضيت الى البلاج . وكانت كلها تصرفات حمقاء ، لأنها حتى لو كانت بهذه البلدة ، لما أمكن أن أعثر عليها بمثل هذه البساطة . هذا فضلاً

عن وجود مصايف أخرى كثيرة جداً على طول الشاطىء .

وصمت برهة ريثما تهدأ نفسه الثائرة ، وعاد يقول :

– ويئست أخيراً من لقائها ، فعدت ..

– في أي وقت ؟

– لا أدري .. لقد عدت ماشياً .. ولا شك أن الليـل كان قد انتصف حين بلغت مسكني

– ثم ؟!

وهنا فتح باب المطبخ ، ودخل المفتش كيسلي قائلاً :

– أهذا أنت هنا ؟

وشق المفتش كروم طريقه بسرعة ، والقى نظرة سريعة على ميجان ودونالد ، وعندئذ قدمهما بوارو اليه قائلاً :

– المس ميجان بارنارد ، والمستر دونالد فريزر .

ثم قال للشاب والفتاة موضحاً :

– وهذا المفتش كروم من اسكتلانديارد

واستدار نحو المفتش واردف قائلاً

– كنت اثناء تحرياتك في الطابق العلوي ، أتحدث مع المس ميجان والمستر دونالد آملاً أن اجد شيئاً يلقي بعض الضوء على الجريمة

فقال كروم وهو مشغول الفكر بالشاب والفتاة

– آه ، حسناً !

وتراجع بوارو الى الصالة ، واسرعت وراءه حيث قلت له :

– هل وصلت الى شيء ؟

– عرفت فقط يا هاستنج ان القاتل على جانب كبير من الاعتزاز بالنفس.

ولم أجد الشجاعة الكافية لأقول له انني لم أفهم شيئاً .

وعقدنا مؤتمراً آخر من سلسلة المؤتمرات التي عقدناها لبحث موضوع ذلك

القاتل الخفي « ا. ب. س » .

كان هذا المؤتمر الأخير خاصاً بتقرير ما اذا كان ينبغي او لا ينبغي أن نعلن على الرأي العام موضوع الرسائل التي بعث بها المجرم المجهول الى بوارو .. ذلك أن جريمة بكسهيل كان لها أثر كبير في الرأي العام ، لأنها اولاً وقعت في مصيف مزدحم بالمصيفين ، ولأن الضحية فيها كانت هذه المرة فتاة شابة على جانب من الجمال .

وبعد مناقشات طويلة ، اتفقنا على أن المجرم المجهول يعاني نوعاً من جنون العظمة ، وانه لم يرتكب هذه الجرائم ، ويرسل الى بوارو هذه الرسائل إلا سعياً وراء نوع من الشهرة التي ترضي غروره المكبوت . وانتهينا أخيراً الى قرار مؤداه أن ننتظر .. فاذا أرسل الى بوارو رسالة ثالثة يحدد فيها المكان والزمان اللذين سيرتكب فيهما جريمته الثالثة ، أعلنا على الناس جميعاً عن طريق جميع الصحف والإذاعة - كل شيء عنه حتى يأخذ الجميع حذرهم ويصبح من العسير عليه تنفيذ جريمته ، كما يمكن الايقاع به اذا هو حاول تنفيذها .

* * *

وانني لأتذكر بوضوح وصول الرسالة الثالثة التي كتبها ذلك المجرم المجهول الذي يرمز لنفسه بالأحرف الهجائية الثلاثة « ا. ب. س. » .

ولست بحاجة لأن أذكر أن رجال المباحث اتخذوا جميع الاحتياطات والاجراءات اللازمة لمواجهة ذلك المجرم عقب وصول رسالته الثالثة مباشرة . ومن بين هذه الاجراءات ، أن عهد الى جاويش شاب من رجال المباحث بالبقاء في مسكن بوارو عند غيابنا عنه ليكون حاضراً عند وصول الرسالة فيستطيع من ثم الاتصال بادارة اسكتلانديارد دون أي تأخير

وازدادت أعصابنا توتراً مع مرور الأيام ، ورفض بوارو ان يغادر لندن

رغم الجو الخانق الذي كان يسودها في تلك الفترة . وقد لاحظت ان بوارو كان يعاني من قلق نفسي شديد لاحساسه بان المجرم المجهول يتحداه شخصياً ، وان بعض الأبرياء سوف يدفعون ثمن التحدي اذا لم يقع المجرم في أيدي العدالة قبل أن يضيف الى جريمتيه السابقتين جرائم اخرى .

وكان يوم الجمعة هو اليوم الذي وصلت فيه الرسالة الثالثة . وقد جاءت مع بريد الساعة العاشرة مساء .

فما ان سمعت طرقات ساعي البريد المعهودة ، حتى وثبت مسرعاً ، وهرعت الى صندوق بريد بوارو الخاص حيث وجدت فيه أربع او خمس رسائل وكانت بينها رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة ، تماماً كسابقتيها !

وهتفت قائلاً ، وانا انطلق بها الى بوارو :

– بوارو .. لقد وصلت الرسالة .

فصاح قائلاً :

– افتحها .. افتحها يا هاستنج بسرعة . اننا في حاجة الى كل لحظة لنتخذ الاجراءات اللازمة .

وفضضت الرسالة بسرعة ، ورحت اقرأها بصوت مسموع :

« أيها المسكين المسيو بوارو هل أدركت الآن انك لست بارعاً في القبض على المجرمين ، وفي الكشف عن الجرائم الغامضة كما كنت تظن ؟ يبدو أن الشيخوخة قد ركبتك ! حسنا ، لنرى ماذا يمكن ان تفعل هذه المرة ! سأجعل الأمر سهلا جداً موعدنا في اليوم الثلاثين من هذا الشهر ، وفي بلدة سيرستون . حاول ان تفعل شيئا . فانني بدأت أشعر بالتفاهة وانا أجول في الميدان بمفردي !. أرجو لك التوفيق . صديقك ا ب . س . » .

– سيرستون .. ترى أين تقع ؟

وسمعت بوارو يقول بانفعال :

– هاستنج ! متى كتب هذا الخطاب ؟ هل عليه تاريخ الارسال ؟

فنظرت الى الرسالة في يدي وقلت :
– أجل .. إنها تحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين .
– وهل حدد موعد جريمته الثالثة باليوم الثلاثين ؟
– أجل ..
– يا إلهي .. هل نسيت إننا في اليوم الثلاثين فعلاً .

ونظرت الى نتيجة الحائط ، ثم قلت :
– عجباً ! ولكن ، ما معنى ؟.

واختطف بوارو المظروف من يدي ، وقرأ العنـــوان المكتوب عليه : « المسيو هير كيول بوارو ، عمارات هوايت هورس » ثم قرأ ملاحظات موظفي البريد المكتوبة في أركان المظروف « غير موجود في عمارات هوايت هورس» و « يجري البحث عنه في هوايت هورس كوارت » ثم « يعاد البحث عنه في عمارات هوايت هافن » .

وكان بوارو يقيم في مسكن بعمارات هوايت هافن .
وغمغم بوارو قائلاً في انزعاج شديد :
– يا للسماء ؟ هل الأقدار تساعد هذا المجرم فتجعله يكتب العنوان خطأ لكي تأتي الرسالة متأخرة عن موعدها ثلاثة أيام ؟. أسرع ، أسرع ، يجب أن تتصل باسكتلانديارد فوراً .

وبعد لحظة ، كان بوارو يتصل تليفونياً بالمفتش كروم الذي ما كاد أن يعرف ما حدث حتى كتم مجموعة من السباب واللعنات التي تزاحمت بين شفتيه ، ثم قال لبوارو انه سيتصل فوراً ببلدة سيرستون .

ووضع بوارو المسماع ، ثم قال وهو ينظر في ساعته :
– الساعة الآن العاشرة والثلث .. أي لا يزال على منتصف الليل ساعة وأربعون دقيقة ..ترى هل نستطيع أن نصل الى سيرستون قبل منتصف الليل؟ وهل ذلك المجرم المجنون لم يرتكب جريمته بعد ؟

وفتحت دليل السكة الحديدية ، وقلت وأنا أقرأ فيه :

– بلدة سيرستون على البحر ، باقليم ديفون .. تبعد عن بادنجتون بمائتين وأربعة أميال وثلاثة أرباع الميل ، عدد سكانها ٦٥٦ نسمة .. انها محدودة السكان جداً ، ولا بد أن أي شخص غريب يدخلها سيلاحظه السكان فيها .

– إن هذا لن يمنع وقوع جريمة قتل اخرى . ما هي مواعيد القطارات المارة بها ؟.. أعتقد ان القطار في هذه الحالة أسرع من السيارة !

- هناك قطار منتصف الليل ، به مركبة نوم ، يصل في الساعة السادسة وثماني دقائق الى نيوتن ، وفي الساعة السابعة والربع صباحاً الى سيرستون .

– من محطة بادنجتون ؟

– أجل ..

- لسوف نركب هذا القطار يا هاستنج .

- قبل أن نعرف ماذا حدث ؟

– وما جدوى معرفتنا ؟

وفيما كان بوارو يتصل تليفونياً مرة اخرى باسكتلانديارد ، أسرعت أنا بوضع بعض الحاجيات الضرورية في حقيبة السفر .. ولما عاد بوارو ، قال أن بعض رجال اسكتلانديارد سيلتقون بنا على رصيف المحطة ، وإنه يحسن بنا أن نأخذ معنا الرسالة الثالثة ليطلعوا عليها

وكان المفتش كروم أول من رأيناه في انتظارنا على رصيف المحطة وقد قال مجيباً على نظرة بوارو المتسائلة :

– لا .. لم تصلنا أية أنباء بعد . إن رجالنا قد حذروا بالتليفون جميع الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بالحرف « س » في تلك البلدة . لا تزال الفرصة سانحة أمامنا . أين الرسالة ؟

وبعد أن فحصها ، صفر منزعجاً ، وهو يقول :
- يا لسوء الحظ ! إن النجوم في سمائها تساعد هذا اللعين ضدنا
فقلت متسائلاً :
- ألا يمكن ان يكون قد تعمد هذا الخطأ ؟

فهز كروم رأسه ، وقال :
- لا . إنه حريص على التزام المبادىء . وهذا النوع من الجنون يجعل صاحبه شديد التشبث بالفكرة المسيطرة عليه . وما دام قد قرر ان يتحدى شخصاً معيناً ، فانه لا يلجأ الى المراوغة والخداع وأستطيع أن أراهن أنه يشرب ويسكي هوايت هورس .

فأومأ بوارو برأسه ، وقال :
- هذه لمحة بارعة يا مستر كروم .. لعل الزجاجة كانت أمامه وهو يكتب العنوان ، وكثيراً ما تكتب اليد ما تراه العين على غير وعي من الانسان .

ورفت ابتسامة خفيفة على شفتي كروم ، وقال :
- إذا أسعدنا الحظ ولم يحدث شيء حتى الآن في سيرستون ، فلا شك ان المجرم موجود بها الآن .. إنه لن يغادرها حتى يحقق مأربه ، لأنه سيعز عليه كثيراً ان يفشل !.

وفيما كان القطار يتحرك من المحطة ، لمحنا أحد رجال المباحث يسرع نحونا ، ثم ينقر على نافذة المقصورة التي جلسنا فيها ، فأسرع كروم وفتحها قائلاً :
- ماذا ؟ هل وصلت اليكم أنباء ما ؟

ولم نسمع ما قاله الرجل ، ولكن وجه كروم كان شديد التجهم وهو يلتفت الينا قائلاً :
- لقد عثرا على السير سيرميكال كلارك مقتولاً بضربة قاضية على مؤخرة رأسه .

وكنا جميعاً نعرف السير سيرميكال كلارك ، أخصائي أمراض العيون ، الذي لم يكن مشهوراً جداً بين الطبقات الشعبية ، وكان قد تقاعد عن العمل بعد بلوغه سن الستين ، وذلك ليتفرغ لهوايته الخاصة ، وهي جمع التحف الخزفية الثمينة المصنوعة في الصين ، لا سيما القديم منها . وكان بعد تقاعده قد ورث عن عمه ثروة طائلة ، أتاحت له فرصة الحصول على الشيء الكثير من هذه التحف من مختلف المزادات العالمية . وكان متزوجاً ، ولكنه لم ينجب أطفالاً ، وكان يعيش في منزل خاص على شاطىء البحر في إقليم ديفون ، ولا يذهب الى لندن إلا نادراً .

وكان من الواضح ان مقتله سوف يثير في الرأي العام - وفي الصحافة بوجه خاص - ضجة كبيرة لم يحدث لها مثيل منذ أعوام ، ولا سيا وقد وقعت الجريمة في شهر أغسطس ، حيث يكون معظم الناس متلهفين على ما يشغل أذهانهم .

وقال بوارو :

- آه .. من يدري . لعل هذه الضجة سوف تؤدي الغرض الذي لم تستطع جهودنا ان تؤديه فلا شك ان النـاس جميعاً سوف يهبـون للبحث عن ذلك المجرم المجهول « ا. ب. س. » .

فقلت آسفاً :

- ان هذا ما يريده فعلاً .

- نعم .. ولكن النجاح مسكر . ولا شك ان شعوره بالزهو سوف يدفعه الى ارتكاب بعض الأخطاء التي توقع به في النهاية

وبعد برهة من الصمت ، أردف بوارو قائلاً :

- اننا حتى اليوم نحارب في الظلام .. لا نعرف شيئاً محدداً ، عن ذلك المجرم المجهول بل إننا لا نعرف - إلا تخميناً - الدوافع التي تدفعه الى ارتكاب هذه الجرائم ، وانه لمن أسوأ الأمور ان يقتل الانسان اشخاصاً غرباء عنه بلا

أي أسباب أو مبررات

فقلت وأنا أرتعد :

– ألا يكفي ان يكون الجنون مبرراً معقولاً ؟

– نعم ، الى حد ما . وهذا موضع الخطر .

وبعد برهة صمت ، قلت في شيء من الحزم :

– أياً كانت الأحوال ، فمن واجبنا جميعاً ان نبذل كل ما يمكن من جهود حتى نضع حداً لهذه الجرائم البشعة .

– طبعاً ، طبعاً .. علينا ان ننام الآن ، لأن هنـــاك أعمالاً كثيرة في انتظارنا غداً

الفصل الثامن

السير سيرميكال كلارك

تقع بلدة سيرستون بين مصيف بريكسهام من جهة ، وبانتون وتوركاي من جهة اخرى ، وتقوم في موضع على منتصف انحنـاءة خليج توربای من الجهـة اليمنى وكانت قبل عشر سنوات مجرد ملعب للجولف ، أو على الأصح ساحة لملاعب الجولف في تلك المنطقة ، وتمتد وراء المـلاعب ارض خضراء تصل الى شاطىء البحر ، دون ان يكون بها غـير بيت ريفي او بيتـين . إلا أنها في السنوات الأخيرة نمت وزحف العمران عليها ، وأقيمت بها المنازل والشوارع والفيللات المتناثرة على الشاطيء .

وكان السير سيرميكال كلارك قد اشترى قطعة أرض ، تشرف على البحر من ربوة عالية ، وأقام فيها منزلاً على الطراز الحديث يحتوي على مسكن خاص لصاحبه ، وجناحين يحتويان على مجموعـــات التحف الثمينة التي يهوى السير سيرميكال جمعها .

وقد وصلنا الى ذلك المكان في الساعة الثامنة صباحاً ، حيث وجدنا أحد رجال الشرطة المحليين في استقبـــالنا على المحطة ، وهو الذي زودنا بالمعلومات الاولى عن الحادث .

علمنا منه ان السير سيرميكال كان قد اعتاد ان يقوم بجولة على قدميه

بعد العشاء كل ليلة ولما اتصل رجال الشرطة بمنزله تليفونياً ليحذروه ، وكان ذلك بعد الحادية عشرة مساء ، علموا انه لم يعد بعد من جولته . ولما كان خط سيره معروفاً ، فان البحث عنه لم يستغرق فترة طويلة ، إذ ما لبث ان عثر رجال الشرطة على جثته في مكان ما من الطريق الذي اعتاد ان يتجول فيه . وكانت الوفاة قد نتجت عن ضربة عنيفة أصابت مؤخرة الرأس . وبجانب الجثة وجدوا دليل « ا. س. ب » للسكة الحديدية موضوعاً في وضع مقلوب .

ووصلنا الى البيت في نحو الثامنة وعشر دقائق ، حيث فتح لنا الباب خادم تشريفاتي عجوز كان الحزن الشديد واضحاً على وجهه. وقد حياه رجل الشرطة المحلي بقوله :

– طاب صباحك يا ديفريل .

طاب صباحك يا مستر يلز .

– هؤلاء هم السادة الوافدون من لندن

– تفضلوا من هذا الطريق ايها السادة .

ومضى أمامنا عبر قاعة كبيرة للطعام ، كان على مائدة فيها صفحة عليها وجبة إفطار كاملة . ثم قال :

– لسوف استدعي المستر فرانكلين .

وبعد لحظات أقبل رجل كبير الجسم ، أشقر الشعر ، ملوح الوجه من وهج الشمس .

وكان هذا ، كما علمنا ، المستر فرانكلين كلارك ، شقيق المتوفي .

وكان يبدو عليه ، من تصرفاته الثابتة ، إنه رجل اعتاد ان يواجه مثل هذه المواقف العصيبة بثبات .

قال لنا :

– طاب صباحكم ايها السادة .

وقام المستر ويلز ، رجل الشرطة المحلي ، بعملية التقديم فقال :
– المفتش كروم ، من إدارة المباحث العامة ، المسيو هيركيول بوارو ، الكابتن هاينز .

فصححت له الاسم بسرعة قائلاً ببرود :
– هاستنج .

وصافحنا فرانكلين كلارك ، كلاً منا على حدة، وهو يزودنا بنظرات حادة نافذة ، ثم قال :
– إسمحوا لي أن أقدم طعام الافطار .

ووافقنا جميعاً . وسرعان ما جلسنا الى مائدة حـافلة بالبيض المقلو والسجق والجبن والزبد والمربى والشاي . وبعد ان أرضينا بطوننا ، قال فرانكلين كلارك :

– الى العمل الآن .. لسوف يقدم اليكم المفتش ويلز فكرة عامة عن حادث الأمس . أما من ناحيتي ، فاني لا أكاد أصدق ذلك الحديث عن المجرم المجهول الذي يسمي نفسه « ا ب. س. » . هل تريد مني يا سيدي المفتش كروم أن أصدق ان أخي مات قتيلاً بيد مجرم مجنون ارتكب جريمتين قبل ذلك ، وانه يختار ضحاياه حسب الترتيب الهجائي لأسمائهم ؟ وانه يضع بجانب كل ضحية دليل « ا. ب. س. » للسكة الحديدية .

فقال المفتش كروم :
– هذه هي الحقيقة بقدر ما نعرف حتى الآن يا مستر كلارك .
– ولكن لماذا ؟. ما هي الفائدة التي يمكن أن تعود من مثل هذه الجرائم حتى على أشد الناس جنوناً ؟

فأومأ بوارو برأسه موافقاً ، وقال :
– أحسنت التعبير يا مستر كلارك .. هـذا هو السؤال الذي يحيرنا جميعاً .

قال المفتش كروم :
– لا جـدوى الآن من البحث عن دوافع الجريـمة يا مستر كلارك . هذه مهمة علماء النفس ، وإن كنت شخصياً أعرف ان الجرائم التي يرتكبها المجانين ليس من الضروري ان يكون لهـا دوافع معقولة .. فمثلاً هناك دافع الرغبة عند البعض – في إثبات وجودهم أمام الناس ، وفي إثارة ضجـة ضخمـة حول أسمائهم ، أو أن يصبحـوا مشهورين بأية وسيـلة بدلاً من بقائهم نكرات .

فقال المستر كلارك في شيء من الارتياب ، وهو يوجه الحديث الى بوارو :
– أحقاً هذا يا مسيو بوارو ؟
فأجاب صديقي قائلاً :
– نعم . للأسف الشديد .

ففكر المستر كلارك برهة ، ثم قال :
– إن مثل هذا الرجل ، على كل حال ، لن يستطيع أن يبقى بعيداً عن أيديكم مدة طويلة .
– نعم ، نعم . ولكن هذا النوع من الناس يكون عادة على مكر شديد ودهاء بالغ وإحساس عميق بالحقد على المجتمع .. إنه واحد من الذين يعيشون في الحياة نكرات ، لا يحس بهم أحد ، ولا يهتم بأمرهم مخلوق .

وتدخل كروم في الحديث قائلا للمستر كلارك :
– أتسمح يا مستر كلارك وتذكر لي بعض ما تعرفه من حقائق عن ظروف أخيك ، وتجيب على بعض ما سأوجهه اليك من أسئلة ؟
– طبعاً طبعاً .

هل كان أخوك في حالة صحية ومعنوية طبيعية أمس ؟ ألم يستلم رسائل غير منتظرة ؟ ألم يحدث ما أشاع الاضطراب في نفسه ؟
– لا .. أستطيع ان أقول انه كان في حالة طبيعية من جميع الوجوه .

– ألم يكن هناك ما يثير قلقه واضطرابه ؟
– إن القلق والاضطراب يا سيدي المفتش من الحالات الطبيعية التي كان يعيش فيها أخي بصفة دائمة .
– لماذا ؟؟!
– لعلك لا تعرف ان زوجته ، الليدي كلارك ، في حالة صحية مؤلمة ويمكن القول فيما بيننا ، انها تعاني من سرطان لا يرجى شفاؤه ، ولا ينتظر أن تعيش طويلا وكانت حالتها الصحية هذه تثير الألم في نفس أخي دائماً .. وأنا نفسي فوجئت بالتغيير الكبير الذي طرأ عليه عندما عدت من الشرق الأقصى بعد غيبة طويلة .

وتدخل بوارو في الحديث قائلا :
– لنفرض ان أخاك وجد قتيلا بطلق ناري في سفح تل او في جانب طريق ، وان المسدس كان بجانبه ، فماذا يكون رأيك في هذه الحالة ؟
فقال كلارك :
– كنت أعتقد فوراً انه انتحر .

وهنا قال المفتش كروم ، وهو يلوي شفتيه قليلا :
– إن هذا الحادث ليس انتحاراً على كل حال .. والآن يا مستر كلارك ، هل كان اخوك معتاداً على القيام بجولة على قدميه كل ليلة ؟
– أجل ..
– كل ليلة بلا انقطاع ؟
– اجل .. فيما عدا الليالي المطيرة طبعاً .
– وهل جميع المقيمين في البيت معك يعرفون عنه هذه العادة ؟
– طبعاً .
– وفي الخارج ؟.
– انني لا أفهم ماذا تعني بذلك . ربما كان البستاني يعرف هذه العادة

عنه ، ولكنني شخصياً غير واثق

- وسكان البلدة ؟

- على وجه الدقة ليس لدينا بلدة بالمعنى المفهوم .. كل ما في الأمر أن لدينا مكتب بريد ، وبضعة بيوت صغيرة ، وبضعة شوارع قليلة . ولكن ليس ثمة محلات ولا منافع عامة يمكن ان تتكون منها بلدة .

- في هذه الحالة يمكن بسهولة ان يثير الانتباه اي غريب يدخل هذه المنطقة ويتجول فيها ؟

- على العكس .. فان هذه المنطقة في شهر أغسطس تكون عادة مزدحمة بمختلف أنواع الأشخاص الغرباء .. انهم يفدون من بريكسهام ، وتوركاري ، وبايتون في السيارات والحافلات وعلى الأقدام .

ثم أشار بيده الى الجهة اليمنى من الشاطىء ، وأردف قائلاً :

- إن هذه الشواطىء الرملية المسماة « برودساند » و « لبري كاف » تعتبر من المناطق التي تستهوي الكثير من المصيفين ليقضوا فيها عطلة نهاية الأسبوع . ولشد ما أتمنى لو أنهم لا يأتون ، فانك لا تدري الى أي حد من الجمال تكون عليه هذه المناطق في يونيو وفي أوائل يوليو .

- إذن فأنت ترى ان وجود غريب في هذه الناحية لا يثير انتباه أحد .

- أجل .. إلا اذا كان شاذ التصرفات مخبولاً او مجنوناً مثلاً .

فقال المفتش كروم بلهجة التأكيد :

- إن ذلك المجرم لا يبدو مجنوناً او شاذ التصرفات أمام الناس . وأعتقد أنه جاء أولاً لاستكشاف هذه المنطقة ورسم خطته لارتكاب الجريمة ومعرفة عادة السير سير ميكال كلارك في التمشي كل ليلة . وبهذه المناسبة ، ألم يأت رجل غريب أمس ليسأل عن السير كلارك ؟

- لا أعرف على وجه اليقين .. ولكن يمكننا أن نسأل ديفريل .

ورن الجرس فأتى الخادم التشريفاتي ووجه اليه ذلك السؤال ، فقال

الخادم مجيباً

– لا يا سيدي . لم يحضر أحد لمقابلة السير كلارك ، ولم ألاحظ وجود شخص غريب بالقرب من القصر وكذلك الخـــادمات لم يرين شيئاً ، لأني سألتهن .

وانتظر الخادم لحظة ، قبل ان يسأل قائلاً :

– هل هذا كل شيء ؟

– أجل يا ديفريل .. يمكنك ان تنصرف

وانسحب ديفريل الى الباب حيث أفسح الطريق لفتاة شابة كانت داخلة .

ونهض فرانكلين كلارك عند دخولها ، وقال يقدمها :

– هذه هي المس جراي ايها السادة ، سكرتيرة أخي .

ولفت انتباهي فوراً بياض بشرتها الناصع الذي يشبه بياض سكان الدول الاسكنديناڤية ، وكان شعرها ذهبياً فاتح اللون جداً كشعور معظم النساء النرويجيات والسويديات ، وكذلك كانت عيناها خضراوين فاتحتين ، ولبشرتها ذلك الصفاء المتألق الذي يبلغ حد الشفافية ، والذي يمتاز به سكان المناطق الشمالية من اوروبا بوجه عام. ومن ناحية السن كانت تبدو في السابعة والعشرين ، كما لاح انها على كفاية ممتازة بجانب جمالها الملفت للنظر .

قالت وهي تتخذ مجلسها :

– هل أستطيع ان أقدم اليكم اية مساعدة أو خدمة ؟

وعرض فرانكلين كلارك عليها ان تأكل ، ولكنها اكتفت بفنجان شاي ، وعندئذ سألها كروم قائلاً :

– هل كنت تشرفين على مراسلات السير سيرمكال ؟

– أجل . كلها .

– أعتقد انه لم يستلم رسالة او أكثر موقعة بالحروف « ا. ب. س. » .

« ا. ب. س » ؟! لا . انني واثقة تماماً بأنه لم يستلم رسالة موقعة بمثل

هذه الأحرف .

– ألم يذكر في معرض حديثه ذات مرة انه رأى شخصاً يتسكع في طريق جولته المسائية ؟

– لا .. لم يذكر قط شيئاً من هذا القبيل .

– وأنت ، ألم تلاحظي وجود احد الأشخاص الغرباء بالقرب من القصر في الأيام الأخيرة ؟

– رأيت كثيراً من الغرباء يمرون بالقرب من القصر ، فمن المعتاد ان يكثر وفود بعض المصيفين في هذه المنطقة .

وطلب المفتش كروم ان يذهب الى المنطقة التي اعتاد السير سيرميكال ان يتمشى فيها كل ليلة . فمضى فرانكلين أمامنا ، وخرجنا من باب الشرفة ، ومعنا المس جراي .

وكنت ، هي وأنا ، في المؤخرة . ومن ثم قلت لها على انفراد :

– لا شك ان ما حدث كان صدمة عنيفة لكم جميعاً ؟

– إنني أكاد لا أصدق ما حدث . لقد آويت الى فراشي أمس، وما كدت استغرق في النوم حتى رن رجال الشرطة جرس الباب الخارجي، وسمعت وقع أقدام تجري هابطة ، فنهضت لأرى ماذا حدث ، وقد رأيت ديفربل والمستر كلارك يحملان المصابيح للمضي الى الخارج .

– ما هو الوقت الذي اعتاد فيه السير كلارك ان يعود فيه من جولته المسائية ؟.

– في العاشرة الا ربعاً كالمعتاد .. وكانت عادته ان يدخل بمفرده من باب جانبي حيث يمضي الى فراشه احياناً فوراً ، وفي أحيان اخرى يقصد الى أحد الجناحين اللذين يضمان تحفه الثمينة . ولولا ان رجال الشرطة اتصلوا تليفونياً ليسألوا عنه ، لما اكتشف أحد غيابه إلا في صباح هذا اليوم .

– لا شك ان الحادث كان صدمة رهيبة لزوجته المسكينة ؟

– إن الليدي كلارك تكاد تعيش في شبه غيبوبة بسبب المورفين . وأعتقد انها في حالة لا تكاد تسمح لها بمعرفة ما يجري تماماً .

وكنا عندئذ قد خرجنا من باب الحديقة الكبيرة الى ساحة العـــا ـ الجولف ، وبعـد ان اجتزنا ركن الساحـة ، أخذنا نهبط في حارة ملتوية شديدة الانحدار .

وقال فرانكلين كلارك وهو يشير الى نهاية الحارة :

– انها تؤدي الى شاطىء « البري كاف » ولكن البلدية أنشأت منذ عامين طريقاً فرعياً يمتد من الطريق العام ، ويؤدي الى شاطىء « برود ساندز » ومنه الى « البري كاف » . ولهذا السبب قلما يستعمل أحد هذه الحارة للمرور .

وسرنا في الحارة حتى رأينا في نهايتها ممراً يؤدي الى شاطىء البحر وبعد أن سرنا فيه بين جوانب صخرية ورملية وعرة ، وجدنا أنفسنا نشرف من مرتفع صخري على البحر ، وعلى الشاطىء الرملي المرصع بالأحجار البيضاء وكانت الأشجار تحيط بالمنطقة كلها وتصل الى حافة الماء وعلى الجملة ، كان المنظر ساحراً بألوانه الطبيعية التي جمعت في مكان واحد بين خضرة الشجر ، وصفرة الرمال وبياض الصخور وزرقة الماء .

وهتفت قائلاً رغماً عني ما أجمل هذا ؟

واستدار فرانكلين كلارك نحوي بلهفة ، وقال

– اليس المنظر جميلاً فعلاً ؟ إنني لا أدري لماذا يترك الناس مثل هـــذه المناطق الساحرة ويذهبون الى الريفيـيرا . لقد جبت معظم أنحـاء العالم في مختلف مراحل عمري ، وأشهد أمام الله انني لم أجد منطقة أجمل منظراً من هذه .

وكأنما تذكر الموقف ورهبته فخجل من نفسه ، وعاد الى الحديث الجاد الرزين ، وقال :

هذا هو الطريق الذي كان يتمشى فيه اخي كل مساء . انه كان يأتي

الى هذه البقعة حيث يستريح قليلا ثم يعود من نفس الممر ، ولكنه بدلاً من أن ينحرف في نهايته شمالاً الى الحارة ، ينحرف في نهايته يميناً فيسير في بعض الحقول حتى يعود الى القصر

وأومأ كروم برأسه

وعدنا من الطريق الذي اعتاد السير سير ميكال ان يعود منه ، حتى وصلنا الى نقطة في منتصف المسافة الباقية على الوصول الى القصر ، وفي جانب من أحد الحقول ، حيث عثر رجال الشرطة على جثة المجني عليه .

وأومأ كروم برأسه قائلا :

– كان الأمر سهلا جداً .. لقد تربص القاتل المجهول لأخيك وراء هذه الشجرة ، ثم فاجأه من الخلف .

وارتعدت الفتاة التي كانت واقفة بجانبي .

وقال فرانكلين كلارك :

– تمالكي نفسك يا تورا .. ان الموقف عصيب فعلا .. ولكن لا جدوى من الانهيار العصبي .

تورا جراي ؟ انه اسم مناسب للفتاة .

وعدنا الى البيت حيث علمنا ان الجثة حملت منه بعد ان تم تصويرها .

وفيما نحن نصعد السلم الواسع ، رأيت الطبيب يخرج من إحدى الغرف وفي يده حقيبته السوداء ، فسأله كلارك قائلا

– هل لديك ما تقوله لنا يا دكتور ؟

فهز الدكتور رأسه ، وقال :

– الحالة واضحة ، وسوف احتفظ بالتفصيلات لجلسة التحقيق ولكنني أؤكد ان المجني عليه لم يتعذب لحظة .. فقد كان الموت مباغتاً سريعاً .

ثم أردف قائلا : لسوف أصعد لأرى الليدي كلارك

وأقبلت ممرضة مستشفى من نهاية الدهليز ، فمضى الطبيب اليها ، وصحبها ..

ودخلنا الغرفة التي رأيت الطبيب يخرج منها . ولكنني لم ألبث ان خرجت منها مسرعاً حيث وجدت تورا جراي واقفة على رأس السلم، وقد ارتسمت على وجهها إمارات عجيبة ، فقلت لها متسائلا

– مس جراي ؟ هل حدث شيء ؟

فحملقت في وجهي برهة ، ثم قالت بانفاس لاهثة :

– انني افكر . في الحرف « د » .

فنظرت اليها ببلاهة وقلت :

– الحرف « د » ؟

– نعم . الجريمة التالية لا بد أن تفعلوا شيئاً . لا بد أن تحولوا دون وقوعها بأي ثمن

وأقبل فرانكلين كلارك من الغرفة وقال :

– ماذا بك يا تورا ؟ ما هذا الذي تقولين ؟

– أقول يجب وقف هذه الجرائم بأي ثمن .

فقال وهو يعض على نواجذه :

– نعم ، طبعاً . انني أريد ان أتحدث مع المسيو بوارو عن .. عن ..

ثم أرسل العبارة التالية على غير انتظار :

– عن المفتش كروم .. هل هو كفء للقيام بهذا العبء ؟

فقلت له ان المعروف عنه انه من أكفأ رجال إدارة المباحث العامة .

فصمت كلارك برهة ثم قال

– إن لدي خطة قد تؤدي الى الايقاع بذلك المجرم المجهول يا مسيو بوارو ، ولكننا سنتحدث عن هذا في وقت آخر . والآن سأذهب لأرى الليدي كلارك .

ونظرت الى المس جراي ، فلما رأيت امارات التفكير العميق مرتسمة على جبينها ، قلت لها بعد تردد بسيط :

– فيم تفكرين يا مس جراي ؟

– انني اتساءل اين هو الآن .. ذلك القاتل . لقد مضت إثنتا عشرة ساعة منذ وقوع الجريمة الثالثة . اليس ثمة ساحر يمكن ان يقول لنا اين هو الآن ؟. وماذا يفعل ؟

– إن رجال الشرطة يبحثون ..

وأفاقت تورا جراي من ذهولها على كلماتي العادية. ثم أومأت برأسها وقالت: أجل . طبعاً .

وفيما هي تهبط درجات السلم ، رحت اردد في ذهني كلماتها :

« ترى اين هو الآن ؟ وماذا يفعل ؟ »

* * *

غادر المستر الكسندر بونابرت سوست مسرح توركاي مع الخارجين بعد ان استمتع بمشاهدة الفيلم العاطفي جداً .. « ليس عصفوراً » ..

ورمش بعينيه في شمس ما بعد الظهيرة ، وتلفت حوله كعادته دائماً ، او على الأصح ، كما يفعل الكلب الضال في الحياة .

وغمغم لنفسه « انها لفكرة .. »

وانطلق باعة الصحف حوله يصيحون : « آخر طبعة .. مجرم مجنون في بلدة سيرستون ». وكانوا يحملون لافتات مكتوباً عليها بالخط العريض : « جريمة سيرستون . آخر طبعة »

ودس المستر سوست يده في جيبه ،فوجد قرشاً اشترى به نسخة من احدى الصحف المسائية .. ولكنه لم يتصفحها فوراً .

ومضى الى حدائق « البرنسس جاردنز »حيث سار في بطء وتمهل الى مقعد يواجه ميناء توركاي ، فجلس عليه . وفتح الصحيفة حيث واجهته العناوين الرئيسية بهذه الأنباء :

« مصرع السير سيرميكال كلارك »

« مأساة رهيبة في بلدة سيرستون » .
« المجرم المجهول مجنون رهيب » .

وتحت هذا كله قرأ ما يلي

« روعت البلاد منذ شهر واحد بصرع الفتاة الشابة الحسناء بيتي بارنارد في مصيف بكسهيل . ولعلنا نذكر انه وجد بجانب الجثة دليل « ا ب. س. » للسكة الحديدية . وكذلك عثر رجال المباحث على دليل من هذا النوع بجانب جثة السير سيرميكال كلارك . ومن ثم يرى رجال المباحث ان مرتكب الجريمتين مجرم واحد. فهل يمكن ان يكون ثمة مجرم مجنون يعيث فساداً في مصايفنا؟ ».

وغمغم شاب في قميص ملون وبنطلون رمادي ، كان جالساً بالقرب من المستر سوست ، قائلا : شيء مزعج !.

وحفل المستر سوست في جزع . ولكنه تمالك نفسه وقال :

– آه . اجل . اجل .. .

ولاحظ الشاب ان يدي الرجل الكهل الجالس بجانبه ترتعدان بحيث كان عاجزاً عن إمساك الصحيفة بهما . فقال له :

– ان الانسان لا يستطيع ان يواجه مجرماً مجنوناً كهذا بالطرق المألوفة .. وأعجب من هذا ان الواحد منهم لا تبدو عليه مظاهر الجنون فيأغلب الأحوال

– أعتقد هذا ..

– ويلوح ان الحرب هي المسؤولة عن كثرة هذه الاصابات العقلية .

– اظن انك . انك على حق في هذا .

– انني أبغض الحرب ..

فالتفت المستر سوست اليه ، وقال :

– كلنا نكره الأوبئة ومرض النوم والمجاعات والسرطان . ولكنها مصائب لا بد من وقوعها .

فقال الشاب بلهجة تأكيد :

– ولكن الحروب مصائب من الممكن تلافيها .

وضحك المستر سوست . ضحك عالياً ولمدة طويلة . وجزع الشاب بعض الشيء ، وقال لنفسه « إن الرجل مجنون » ثم قال بصوت مسموع :

– انني آسف يا سيدي .. اعتقد انك اشتركت في الحرب الأخيرة .

– اجل . وقد أصابتني في عقلي . إن عقلي لم يعد كما كان ابداً .. ان الصداع يلازمني دائماً بشكل لا يحتمل .

– اوه ، انني آسف لهذا ..

– وفي بعض الأحيان ، أكاد لا أعرف ما أفعله من فرط الألم ..

فقال الشاب وهو ينهض مسرعاً :

– أحقاً ؟. آه يجب ان أمضي الآن ، فاني على موعد .

وبقي المستر سوست في مكانه

وأخذ الناس يسيرون أمامه ذهاباً وجيئة .

وكان معظمهم يتحدثون عن الجريمة .

وطوى المستر سوست صحيفته ودسها في جيبه ، ونهض في طريق العودة الى المدينة ورأى في طريقه فتيات كثيرات ، جميلات ، ضاحكات ، يغازلن بالنظرات والابتسامات الشبان والرجال الذين يمرون بهن في الطريق .

ولكن لم تفكر واحدة منهن في ان تلقي مجرد نظرة واحدة على المستر سوست .

الفصل التاسع

بوارو يلقي حديثاً

بينما كانت الصحف تمعن في الاثارة عن المجرم المجهول وتحذر الناس منه ، وتكتب بالخط العريض « انه قد يكون بجانبك الآن » كان بوارو من جانبه قد قرر ان يعقد اجتماعا مع اقرب الناس الى الضحايا الثلاث ليتحدث اليهم ، وليحاول ان يعتصر منهم كل ما يمكن ان يكون مختزنا في عقولهم .

وكان الذين ارسل يدعوهم الى الحضور هم : ماري درارو ابنة اخت المسز سكر ، وميجان بارنارد اخت بيتي بارنارد ، ودونالد فريزر ، وتورا جراي ، وفرانكلين كلارك .

وفي اليوم المحدد للاجتماع ، وصل المستر كلارك اولاً .. وقبل الموعد بنصف ساعة ،بناء على رغبة بوارو ، وقد قال بعد ان تبادلنا معه التحية واستقر في مجلسه :

– انني يا مسيو بوارو غير مطمئن الى كفـاءة المفتش كروم أعتقد ان هذه الجرائم تحتاج الى عبقرية بوليسية خاصة .. ولولا المشاغل الكثيرة التي ينبغي ان أقوم بها بعد وفاة اخي ، لخصصت وقتا أطول لكي أضع نفسي تحت أمركم ، ولكي أتعاون معكم على منع وقوع الجريمة الرابعة .

– إذن فأنت ترى ان المجرم سيستمر في ارتكاب جرائمه ..

– حسب ترتيب الحروف الهجائية .. ألا ترى انت هذا ؟
- بكل تأكيد ..
– إذن يجب ان ننظم أنفسنا لمقاومته .
– ألديك اقتراح بهذا الشأن ؟
– ما دمنا نحن أقارب المجني عليهم سنجتمع الليلة هنا ، فلماذا لا نكون فيما بين أنفسنا « فرقة خاصة » تعاون رجال المباحث في الايقاع بالمجرم الرهيب ؟
– فكرة جيدة .

– يسرني انك موافق عليها .. ولا شك اننا بتعاوننا معاً ، قد نعثر على الرجل الغريب الذي كان يحوم حول مسرح كل جريمة قبل ارتكابها .
- وهل تقترح ان تنضم المس جراي الى هذه الفرقة رغم انها غير قريبة لأحد المجني عليهم ؟
فاضطرم وجه كلارك ، وقال :

– أعتقد انها ستعاوننا كثيراً ، لأنها عملت مع أخي سنتين ، وهي تعرف المناطق المجاورة لمسرح الجريمة الأخيرة معرفة تامة ، كما تعرف معظم المقيمين فيها بصفة دائمة . أما أنا فقد كنت غائباً عن البلاد فترة طويلة تبلغ نحو عام ونصف عام .
فقال بوارو بعطف :
– كنت في الشرق .. في الصين ؟ اليس كذلك ؟.

– نعم .. كنت اشتري لأخي مجموعات التحف الخزفية الثمينة التي تعرض في الأسواق العالمية ، لا سيما في الصين نفسها .
– حسناً ، يا مستر كلارك ، لا شك انت كنت ذا فائدة كبيرة لأخيك الراحل .
وبعد نصف ساعة ، كنا جميعاً نجلس حول مائـــدة الاجتماع . وكانت

الفتيات الثلاث يختلفن ، من ناحية المظهر والشكل ، اختلافاً كبيراً . فتورا جراي الصارخة الجمال الناصعة البياض ، ميجان بارنارد الخمرية ذات الشعر الأسود الأثيث ووجهها الجامد التعبير الشبيه بوجوه الهنود الحمر ، وماري دراور بثوبها الأسود البسيط ووجهها الذي ينم عن البراءة والذكاء أمــا الرجلان فكان فرانكلين كلارك بجسمه الكبير ووجهه الملوح ولباقته في الحديث يختلف كثيراً عن دونالد فريزر الهادىء الرزين الخجول

وبدأ بوارو الحديث قائلاً :

- ايها السادة والآنسات . انتم تعرفون الغرض من اجتماعنا هنا فبرغم أن رجال الشرطة لا يألون جهداً في أداء واجبهم للقبض على ذلك المجرم المجهول ، إلا انني اعتقد ان اتحادنا ، نحن أصحاب الشأن في هذه الجرائم ، قد يؤدي الى كشف بعض هذا الغموض الذي يكتنف هذه الجرائم .

وبعد برهة صمت ، استطرد يقول .

- إننا الآن أمام ثلاث جرائم راح ضحيتها سيدة عجوز ، وفتاة في ميعة الصبا ، ورجل كهل . وليس يربط بينهم جميعاً إلا ان الجاني عليهم رجل واحد وهذا يعني ان هذا الشخص الواحد كان موجوداً في أماكن الجرائم الثلاث ، وليس من شك ايضاً في ان هذا الرجل - وقد يكون امرأة - على جانب كبير من الدهاء رغم اختبال عقله ، وذلك لانه استطاع حتى الآن ان يفلت من ايدينا ، وألا يترك وراءه اي أثر يقودنا اليه .

وصمت بوارو برهة اخرى قبل ان يستطرد قائلاً :

- إلا ان هناك معالم يمكن ان تحدد شخصية ذلك المجرم المجهول ، ويمكن ان توضح بعض الغموض الذي يكتنف الموقف . فمثلاً ، انه لم يذهب الى بكسهيل في منتصف الليل ليجد أمامه فتاة يبدأ اسمهـا بالحرف « ب » على الشاطىء جاهزة للقتل ..

وهنا قال دونالد فريزر بصوت ينم عن الألم النفسي العميق .

هل يستلزم الأمر ان ندخل في هذه التفصيلات ؟

فقال بوارو مستديراً اليه :

– من الضروري جداً ان نناقش كل صغيرة وكبيرة في هذه الجرائم .. فالموقف لا يحتمل المجاملة او مراعاة العواطف، الخاصة . كنت أقول أن المصادفة وحدها لم تكن المسؤولة عن التقاء المجرم المجهول بالمس بيتي بارنارد . لا بد انه كان هناك نوع من التمهيد وحرية الاختيار ، اي لا بد انه قام بعملية استطلاعية لمسرح الجريمة .. كان عليه اولاً ن يتأكد من بعض الحقائق .. وكان عليه ان يحدد أفضل وقت يرتكب فيه جريمة اندوفر ، وان يعرف خير مكان يرتكب فيه جريمة بكسهيل ، وان يلم بعادات السير سيرميكال كلارك . ولهذا أعتقد انكم في مجموعكم تعرفون أشياء في قرارة انفسكم دون ان تدركوا انكم تعرفونها .

ولما ارتسمت امارات الدهشة وعدم الفهم على وجوهنا جميعاً ، ابتسم بوارو ، وقال :

– ان العقل قد يختزن معلومات غامضة لا تظهر إلا بالحديث والمناقشة واذا كان موضوع المناقشة محدداً ، فربما كان في ذهن كل منكم جزء معين بشأن هذا الموضوع، والحديث وحده هو الذي يجمع هذه الأجزاء لكي تتضح جميعاً في صورة واحدة .

وهنا تمتمت ميجان بارنارد قائلة :

– كلا

فلما نظر بوارو اليها متسائلا ، أردفت قائلة بصوت ينم عن اليأس.

– مجرد كلام نظري لا يعني شيئاً .

– ان الكلام يا آنسة هو الثوب الذي يبرز الأفكار .

وقالت ماري دراور :

– أعتقد يا مس بارنارد ان المسيو بوارو على حــــق .. فليس كالحديث

المتبادل بين عدد من الأشخاص في موضوع واحد ، محكاً لابراز آراء وصور ذهنية وذكريات كانت مختزنة في اعماق الذهن البشري .

فقال كلارك :

- وأنا أوافق على هذا الرأي .

- ما رأيك يا مستر فريزر ؟

- انني ارتاب في جدوى هذه الطريقة

- وأنت يا مس جراي ؟

- اعتقد ان استعراض وجهات النظر بالحديث المتبادل عن موضوع معين لا بد ان يأتي بجديد في هذا الموضوع .

وهنا قال بوارو :

- إذن أرجو من كل منكم ان يعتصر ذاكرته كل ما يمكن ان يتذكره قبل وقوع كل جريمة . ولنبدأ بالمستر كلارك

فقال المستر كلارك وهو يجمع بيده ثنايا جبينه :

- ماذا فعلت في صباح اليوم الذي قتل فيه أخي ؟ آه . ذهبت للصيد في زورق شراعي ، وقد اصطدت ثماني سمكات كبيرة من نوع « الماكريل » .وكان الجو صحواً .. وعدت الى البيت في موعد الغداء. وأذكر ان الحساء الايرلندي كان بين أصناف الطعام . ونمت .. ثم استيقظت وشربت الشاي . وكتبت بعض الرسائل ، وفاتني وضعها في الصندوق في الموعد المناسب ، فركبت السيارة الى بلدة بايبتون لاصدرها . وعدت في موعد العشاء . واني لا أشعر بالخجل حين أقول انني قرأت للمرة الثانية كتاب مغامرات نسبيت الذي كنت مشغوفاً به منذ عهد التلمذة . ثم رن جرس التليفون .

فقال بوارو مقاطعاً :

- لا داعي لأن تذكر ما حدث بعد هذا لأنه لا يهم .. وإنما المهم هو ان أتذكر هل رأيت أحدوأنت في طريقك الى الصيد صباحاً !

- كثيراً من الناس .

- هل يمكنك ان تتذكر شيئاً عنهم أو عن بعضهم ؟

- لا شيء الآن .

- هل أنت متأكد من هذا؟

- دعني اتذكر .. آه .. اذكر انني رأيت سيدة بدينة لفتت نظري بثوب سباحتها الاصفر المخطط ، وكان معها . ورأيت شابين يلاعبان كلباً صغيراً على البلاج ، وفتاة ذهبية الشعر كانت تضحك عالياً وهي تسبح . عجباً ! ان بعض الذكريات تطفو فجأة كأنها الصور المتحركة .

- حسناً جداً .. وبعد ذلك .. ألم تر شيئاً أمام البيت ، او في الحديقة أو عندما خرجت لتصدير رسائلك ؟

- رأيت في الحديقة البستاني يروي الشجر ، وكدت اصطدم بصبي يركب دراجة أثناء ذهابي الى بابيتون وسمعت امرأة تتشاجر بصوت مرتفع مع صديق لها . هذا كل ما اتذكر .

والتفت بوارو الى المس جراي ، وقال لها .

- وانت يا مس جراي ؟

فقالت بصوتها الواضح الرزين :

- فرغت من مراسلات السير سير ميكال في الصباح ، وتحدثت مع مديرة البيت في البرنامج اليومي ، وكتبت بعض الرسائل ، وانشغلت بعدالظهر ببعض أشغال الابرة ، والواقع ان من العسير ان اذكر كل شيء . فقد كان اليوم من الأيام الرتيبة العادية . وأخيراً أويت الى فراشي في ساعة مبكرة.

- وأنت يا مس برنارد ، ألا يمكن ان تتذكري ماذا حدث في اخر مرة رأيت فيها اختك ؟

-- رأيتها قبل وفاتها باسبوعين . وكنت قد عدت الى البيت لأقضي نهاية الأسبوع ، يومي السبت والأحد . وكان الجو لطيفاً ، فذهبنا الى مصيف

هاستنجز حيث سبحنا في بحيرته المشهورة .

- وعن أي شيء كان حديثكما معظم الوقت؟

- عنفتها كثيراً على ميلها الى اللهو والعبث بلا تحفظ.

- وماذا ايضاً ؟ عن أي شيء كان حديثها هي ؟

- تحدثت عن ضيق ذات يدها ، وعن قبعة جديدة وفساتين للصيف،وعن دونالد قليلاً . وقالت ايضاً انها لا تحب زميلتها في العمـــل ميللي هيجلي. وضحكنا كثيراً على تصرفات مارون ، مديرة المقهى .. ثم ، لا أتذكر أكثر من هذا

- معذرة يا مستر فريزر .. ألم تذكر لك مس بارنارد أي شيءعن رجل ما كانت تنوي ان تقابله؟

فقالت ميجان بصوت جاف :

- انها ما كانت لتجرؤ أن تقول لي شيئاً من هذا القبيل .

واستدار بوارو الى دونالد فريزر بشعره الاحمر وقال :

- مستر فريزر .. عندما ذهبت لانتظار بيـتي حتى تخرج من المقهى ،ألم تشاهد أحداً لفت نظرك بصفة خاصة؟

- لا .. كان المصيفون كثيرين .

- الم يلفت نظرك شخص معين منهم ؟.. حاول ان تعتصر ذهنك .

فقال الشاب بعناد :

- لم أر غير أشخاص عاديين ، لم يكن بينهم واحد يلفت النظر .

- وأنت يا ماري دروار . أعتقد ان خالتك كانت تراسلك!

- أجل يا سيدي

- متى ارسلت اليك آخر رسالة ؟

ففكرت ماري برهة قبل ان تجيب قائلة :

- قبل وفاتها بيومين .

- وماذا قالت فيها ؟

- قالت ان الشيطان العجوز - تعني زوجها - حاول ان يبتز منها مبلغاً من المال زيادة عن المبلغ المتفق عليه ، ولكنها افزعته وجعلتـــه يهرب من وجهها ، وانها كانت تتوقع حضوري اليها يوم الاربعاء يوم عطلتي الاسبوعية لنذهب الى السينما . وكان ذلك يوم عيد ميلادي أيضاً يا سيدي .

وطفرت الدموع في عيني ماري ، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها ثم قالت :

- معذرة يا سيدي .. لقد غلبني الحزن على أمري وان بعض الذكريات.

فقال كلارك :

- اني أدرك شعورك يا مس داروار ، فان بعض الذكريات البسيطة قـد يكون لها أكبر الأثر في النفس .. فمثلاً أنا لا أنسى ما حييت منظر سيـدة صدمتها سيارة كبيرة فقتلتها . وكانت جثتها ملقاة ، وبجانبها حذاء جديـد تناثر من صندوقه . لقد خيل الي ان الحذاء يرقد في حزن وأسى بجوار السيدة التي ماتت قبل أن ترتديه .

وهنا هتفت ميجان قائلة بشيء من الحماس

- هذه هي الحقيقة .. نعم هذا ما يحدث حقاً . لقـــد حدث نفس الشيء لأخي بيقي . ذلك ان أمي كانت قد اشترت جوربين لتقدمهم اليهـــا هدية اشترتهما في نفس يوم مصرعها . وقد رأيت امي بعد ذلـك ، وهي تمسك بالجوربين وتبكي بحرارة وتقول : « اشتريت هـذين لبيقي ؟.. اشتريت هذين لبيقي ، ولكنها لم تراهما .. »

وتململ دونالد فريزر في مقعـــده ، وبادرت توراً جراي الى تغيير مجرى الحديث قائلة

- الا تفكر في وضع خطة معينة للمستقبل ؟

فقال فرانكلين كلارك ، وقد استماد حالته الطبيعية

– طبعاً .. طبعاً . فعندما تصل الرسالة الرابعة ، يجب أن نوحد جهودنا. والى ان يحدث هذا ، أرجو أن يحاول كل منا أن يستعيـــد في ذهنه كل الذكريات عن حياتـــه قبل وقوع كل جريمة مباشرة . وما رأي المسيو بوارو أخيراً ؟

– ان لدي بعض المقترحات .

فأسرع فرانكلين كلارك وتناول من جيبه مفكرة وقلما ، وقال :

– عظيم جداً . اذكرها لنا بالترتيب .

– أعتقد ان الجرسونة ميللي هيجلي ربما تعرف شيئاً قد يفيدنا في هـذا الموضوع .

فقال كلارك وهو يكتب : ١ – ميللي هيجلي .

واقترح طريقتين لاستدراجها الى الحديث ، اما ان تثيرها الانسة ميجان حتى تدفعها الى الافضاء بكل ما تعرفه عن بيتي ، وعندئذ قد نعرف الرجـل المجهول الذي قيل انها تنزهت معه مرتين ، وأما ان يتقرب المستر فريزر اليها ، ويتظاهر بغازلتها ، ويستدرجها للحديث عن بيتي في هذا الشأن .

وهنا قال دونالد فريزر

– هل هذا اجراء ضروري ؟

– لا ، ليس ضرورياً . ولكنه مجرد محاولة .

وعندئذ أسرع فرانكلين كلارك يقول

– هل أجرب انا هذه الطريقة مع ميللي هيجلي يا مسيو بوارو ؟ فان لي وسائلي الخاصة في الحديث الجذاب مع الفتيات ..

وقالت ثورا جراي بحدة :

– وهل لديك وقت فراغ كاف للقيام بمثل هذه المحاولات ؟

فتلاشت الابتسامة من وجه فرانكلين ، وهو يقول متراجعاً

– آه .. صدقت يا ثورا .. ان اعمالي كثيرة في هذه الأيام ..

وقال بوارو

ـ أعتقد انه لا يوجد شيء كثير يحتاج الى اهتمام خاص في البيت يامستر كلارك ، وربما كان في مقدور المس جراي ان تحل محلك في القيام ..

فقاطعته تورا جراي بقولها :

ـ ولكني تركت عملي في قصر السير سيرميكال كلارك .

ـ آه ! انني لم أعرف هذا .

وقال فرانكلين كلارك :

ـ من الطبيعي ان تفضل المس جراي البحث عن عمل مناسب في لندن بعد وفاة أخي .

فتنقل بوارو بنظراته الحادة بين الاثنين ، ثم قال فجأة :

ـ كيف حال الليدي كلارك ؟

واضطرم وجه تورا جراي ، بينما قال فرانكلين كلارك :

ـ في أسوأ حال .. وبهذه المناسبة ، هل يمكنك يا مسيو بوارو ان تذهب لمقابلتها . لقد أعربت عن رغبتها في رؤيتك .

ـ بكل تأكيد يا مستر كلارك .. هل يمكن أن أقوم بزيارتها بعد غد ؟

ـ حسناً .. لسوف اخبر الممرضة بذلك حتى تجعلها في حالة تستطيع معها أن تقابلك .

واستدار بوارو الى ماري دراور وقال :

ـ وأنت يا مس دراور .. اعتقد ان في مقدورك ان تقدمي لنا خدمة جليلة إذا ذهبت وتحدثت مع بعض الاطفال من جيران خالتك في اندوفر .

فقالت ماري بدهشة :

ـ الاطفال ؟

ـ نعم .. ان الاطفال عادة ينفرون من الغرباء ، ولكنهم لن ينفروا من الحديث معك . ومن المحتمل جداً أن يكون أحدهم قد رأى شخصاً غريباً عن البلدة ، وهو يدخل دكان خالتك أو وهو يحوم حوله .

وقال كلارك :

– وماذا عني وعن المس جراي ، هذا اذا لم أذهب الى بكسهيل !

ولما تردد بوارو برهة ، قال كلارك مستطرداً :

– ما رأيك لو انني نشرت اعلاناً في الصحف موجهاً الى المجرم المجهول ، أقول له فيه أن هيركيول بوارو يعرف الكثير عنه ، وان في مقدوري انقاذه إذا دفع مائة جنيـــه ، وليكن نص الاعلان هكذا : « رسالة عاجلة الى ا ب. س. ان هـ. ب ورائك . مائة لسكوتي . اتصل بـ « ل. م. ن » انها فكرة بدائية ولكنها قد تفيد »

– هذا ممكن جداً .

– ان هذا الاعلان قد يغريه باطلاق النار علي .

فقالت تورا جراي بحدة : انها فكرة خطرة ، وحمقاء .

– ما رأيك يا مسيو بوارو ؟

فابتسم بوارو وقال :

– أعتقد انه لا ضرر منها ومعذرة يا مستر كلارك ، فانه يلوح لي انك ما زلت طفلاً في أعماق نفسك

فاضطرم وجه فرانكلين كلارك ، وقال وهو يكتب في مفكرته :

– حسناً .. أن البرنامج الآن هو :

أ – المس بارنارد مع المس هيلي

ب – المستر فريزر مع المس هيجلي

س – المس دراور مع اطفال اندوفر .

د – الاعلان .

ورغم أن هذا البرنامج كان في رأيي لن يؤدي الى شيء مهم ، إلا أنني رأيت انه لن يؤدي الى ضرر في الوقت نفسه

وبعد لحظات قليلة ، انفض الاجتماع .

الفصل العاشر

الرسالة الرابعة

كان طابع الحزن واضحاً على قصر السير سير ميكال كلارك ، عندما ذهبنا في الموعد المحدد لمقابلة الليدي كلارك . ولعل جو سبتمبر المقبض كان له أثره في شعورنا بذلك الطابع الحزين المخيم على القصر . وكانت معظم غرفاتـــه مغلقــة ، والستائر مسدلة على نوافذها ، كما أن الغرفة التي جلسنا ننتظر فيها كانت رطبة كئيبة .

وأقبلت ممرضة محترفة ينم مظهرها على الكفاءة ، وقالت :

– المسيو بوارو ؟. انني الممرضة كابستيك .. وقد تلقيت رسالتك التي ذكرت فيها موعد حضورك لزيارة الليدي كلارك .

– أرجو أن تكون في حالة صحية تسمح بمثل هذه الزيارة .

– الواقع أن حالتها الصحية أحسن قليلاً .

– اني سعيد إذ أسمع هذا

– الواقع ان الدكتور ليجون اتبع معها طريقة جديدة للعلاج .. ورغم ان التحسن بطيء الا انه واضح .

ولكن يقال انها لن تسترد صحتها مهما يكن الحال !

فقالت الممرضة ، وقد صدمها هذا الحديث الصريح :

– ان الانسان مهما بلغت براعته في الشؤون الطبية لا يستطيع أن يصدر حكماً جازماً كهذا .

– ولكنني أعتقد أن وفاة زوجها كانت صدمة عنيفة لها .

– ربما يكون هذا صحيحاً . لو انها كانت في حالتها الطبيعية ، أما وهي الان في شبه غيبوبة ، فاعتقد أن الصدمة ليست بالقوة التي نظنها .

– اسمحي لي أن أوجه اليك هذا السؤال يا مس كابستيك

هل كانت الليدي كلارك شديدة التعلق بزوجها ؟

– اوه ، أجل .. لقد كان الاثنان زوجين سعيدين . ولا عجب أن شعر المسكين السير سيرميكال كلارك بأشد الجزع عليها حين علم حقيقة مرضها .. ويمكن القول ان احزانه بسببها كانت بالغة جداً في اول الأمر .

– في اول الأمر ؟ وبعد ذلك ؟

– لا تنس ان الانسان يتعود على كل شيء ، حتى على المرض المزمن .. وقد اعتاد السير كلارك على مرض زوجته ، فخفت أحزانه بعد الصدمة الأولى . ثم لا تنس هوايته في جمع الخزف الثمين .. وليس كالهواية عزاء للانسان في مثل هذه الكوارث لقد كانت تشغله كثيراً ، لا سيما عندما يذهب الى المزادات الكبيرة في لندن ، او عندما يقضي الساعات الطوال مع المس جراي في تصنيف المجموعات وترتيبها .

– آه .. المس جراي . لقد تركت الخدمة هنا كما علمت !

– نعم . وانه لأمر يدعو للأسف .. ولكن للزوجة عذرها ، لا سيما اذا كانت مريضة – حين يمتلىء رأسها بالهواجس والشكوك . وأني شديدة الاعجاب بالمس جراي عندما رفضت أن تناقش الليدي كلارك ، فاعتزلت الخدمة فوراً .

– إذن فالليدي كلارك هي التي أمرت بطردها ؟

– طبعاً ..

– هل كانت تكرهها دائماً ؟

– لا . لم تكن تكرهها في اول الأمر ، بل على العكس ، كانت تميـــل اليها .. حسناً ، كفى ثرثرة من جانبي الآن .. ان الليدي كلارك في انتظاركما.

وصعدنا معها الى غرفة بالطابق الأول ، وكانت غرفة مضيئة لطيفة جيدة الاثاث ، وقد رأينا فيها الليدي كلارك جالسة على مقعـــد وثير بالقرب من النافذة . وكان وجهها الهضيم ينم على الألم والارهاق ، كما كانت شاردة زائغـة النظرات .

قالت لها الممرضة :

– هذا هو المسيو بوارو الذي أردت ان يزورك

فقالت السيدة في غموض وذهول :

– آه ، نعم . نعم .. المسيو بوارو .

ولما صافحته ، قال وهو يقدمني :

– هذا صديقي الكابتن هاستنج يا ليدي كلارك

– كيف حالك يا كابتن هاستنج . اني سعيدة بزيارتكما

وجلسنا على مقعدين بالقرب منها .. ولاح لي انها استغرقت فجأة في غيبوبة ولكنها لم تلبث ان هزت رأسها كأنما تفيق من حلم ، ثم تقول :

– اننا سنتحدث عن كار .. أليس كذلك ؟ عن مقتل كار !.

ثم تنهدت وهي تهز رأسها ، كأنما تتحدث الى شخص مجهول ،واستطردت تقول :

– من كان يظن ان نهايتنا ستكون هكذا . نهايته ستكون قبل نهايتي ؟ ولكنها الدنيا .

ومرة أخرى ، عادت تقول وكأنما تحدث نفسها :

– لم أكن أصدق أبداً انه سيموت في الستين . لقد كان يتمتع بصحـــة جيدة ، وان من يراه كان يحسبه في الاربعين من عمره .. ولكن .

وبعد برهة صمت أخرى ، طويلة ، قالت فجأة :

– نعم .. انني شاكرة لكما تفضلكما بالحضور لقد طلبت من فرانكلين أن أراك يا مسيو بوارو ، ووعدني بأن يبلغك رغبتي وكل مـــا أرجوه الا يرتكب حماقة من هذه الحماقات التي يندم عليها الرجل فيما بعـد . لا سيما في مسألة الزواج . انه رغم بلوغه الاربعين من الأربعين من العمر ، سهل الانقيـاد وأعتقد ان معظم الرجال هكذا أمام الفتيات الجميلات . وهذا يدل على انهم أطفال في أعماق نفوسهم ، ولا سيما فرانكلين . انه دائماً طفـــل رغم مرور الأعوام .

فقال بوارو .

– أعتقد انه مندفع بطبيعته ! ،

– أجل .. أجل .. انه مندفع ، وعلى جانب كبير من الشهامة ، لا سيما مع الفتيات . وأنا اعتبر ان هذه ليست شهامة وإنما هي حماقة .. وهكـذا كان كار .. أيضاً .

وتلاشى صوتها قليلاً ، وعاد الى الصمت . وبعد برهة تمتمت قائلة :

– ان المرض قاس ، لا سيما إذا كان مصحوباً بنوبات من الألم . فالمريض يعيش في قلق دائم ، لا يعرف متى ستهاجمه النوبة التالية . وهل سيهاجمـه الألم أو سيتوقف نهائياً .. آه .. معذرة .

– انني أقدر مشاعرك يا ليدي كلارك . والحياة مليئة بالمآسي .

– أجل .. أجل .. ولكن المرض يجعلني أذهل عمـــا حولي في بعض الأحيان .. عن أي شيء كنا نتحدث ؟ .. آه .. نعم ..

– عن شيء يتعلق بوفاة زوجك !

– وفاة كار !.. مقتله يا للمسكين .. ويا للمجرم المسكين ، لا شك انه مجنون ، ولا شك ان جنونه نشأ بسبب هذه الحياة المليئة بالسرعة والضجيـج التي نعيش فيها هذه الأيام . انها حياة لم تعـد تطاق ، اني دائمـاً أشفق على

المجانين ، فلا شك ان عقولهم المضطربة تثير فيهم أغرب الانفعالات . ثم أن سجنهم في مكان منعزل أمر رهيب مزعج ، ولكن . ماذا يمكن للمجتمع ان يفعل غير هذا ؟ لا سيما إذا بدأوا يقتلون الأبرياء

ثم التفتت نحو بوارو ، وسألته فجأة :

– ألم تقبضوا عليه بعد ؟

- لا . لم نقبض عليه بعد ؟

– لا بد اذن انه كان يتسكع بالقرب من القصر في ذلك اليوم .

– اننا في موسم الاصطياف يا ليدي كلارك ، والغرباء عن البلدة يكثرون بطبيعة الحال .

– أجل .. أجل .. نسيت هذا ولكنهم عادة يبقون عند الشواطىء ، ولا يصعدون الى المنزل .

– لم يقترب من المنزل أحد الغرباء في ذلك اليوم يا ليدي كلارك على كل حال.

فقالت السيدة بحماس مفاجيء :

- من قال هذا ؟!

فأجاب بوارو مدهوشاً :

– الخدم و.. والمس جراي .

- هذه الفتاة كاذبة .

وحملقت الى الليدي كلارك مدهوشاً بدوري ، بينما استطردت هي تقول :

- انني لا أحبها ، ولم أحبها أبداً . وكان كار شديد الاعجاب بها وبكفاءتها وكان يقول دائماً انها فتاة يتيمة وحيدة في الحياة ، وما عيب اليتيم ! انه احيانا يكون رحمة وبركة عندما يكون للابناء والد سكير عربيد فاسد الاخلاق وأم بلهاء .

وحاولت الممرضة ان تهديء ثائرتها ، ولكن الليدي كررك استطردت قائلة :

– لقد أمرت بفصلها من الخدمة بعد وفاة كارمباشرة . والعجيب ان فرانكلين حاول بكل وقاحة ان يبقيها ويقنعني انها قد تكون ذات فائدة لي. انه أحمق ، مندفع ! انه طفل في قرارة نفسه . وأنا لا أريد ان يختلط بفتاة ذات أهداف بعيدة مثلها لقد امرت بأعطائها مرتب ثلاثة أشهر ، وخروجها من البيت فوراً . وقد ذهبت وهي تتظاهر باللطف والدعة ، يـــا لها من فتاة داهية .

ومرة أخرى بذلت الممرضة جهدها لتهدئة الليدي كلارك . فلما هدأت، قال بوارو :

– لماذا قلت انها كاذبة ياليدي كلارك ؟

– لأن هذه هي الحقيقة .. الم تقل لكم انه لم يقترب أحـــد الغرباء من القصر في ذلك اليوم ؟

– نعم ! ..

– حسناً جداً ! .. لقد رأيتها بنفسي .. بعيني هاتين ، من هذه النافذة ، تتحدث مع رجل غريب تماماً عن الناحية ، أمام مدخل البيت .

– متى كان هذا ؟

– في صباح اليوم الذي قتل فيه زوجي .. في نحو الساعـة الحادية عشرة صباحاً .

– وماذا كان شكل الرجل ؟

– كان رجلا عادياً ، لا يميزه عن غيره شيء .

– هل كان سيداً ، أو .. بائعاً ؟!

– لا ، لم يكن بائعاً .. ولكنه كان رجلاً رقيق الحال كما بدأ من ملابسه .

واختلج وجهها بألم مفاجيء ، فقالت الممرضة لنا :

– ارجو أن تتركاها لتستريح الآن .

وقطعنا الرجاء .. وخرجنا .

وقلت لبوارو ، ونحن في طريق العودة الى لندن :

– هذه حكاية غريبة جداً .. أعني حكاية المس جراي والرجل الغريب .

– أرأيت ياهاستنج ، ان كل شيء يثبت ما كنت أقوله لك كثيراً ، وهو انه لا بد أن يحدث أمر ما ينير السبيل أمام العدالة .

– لماذا كذبت الفتاة ، وقالت انها لم تر أحد الغرباء في ذلك اليوم ؟

– ان ابسط ما يمكن أن نفعله في هذا الشأن هو ان نسألها :

– لنفرض انها كذبت مرة اخرى .

– في هذه الحالة ستزداد الأمور وضوحاً .

– انني يا بوارو لا أصدق أن يكون لفتاة كهذه علاقة برجل مجنون .

– تماماً .. وهذا هو رأيي أيضاً .

ومرة أخرى ، راح بوارو يستعرض الجرائم الثلاث ، ويحاول عبثاً أن يجد بينها رابطة أخرى ارتكاب شخص واحد لها .

ووصلنا أخيراً الى مسكنه في عمارات هويتهافن . وقبل ان ندخل المسكن قيل لنا ان فيه رجلاً ينتظرنا بداخله .

وتوقعت أن يكون الضيف المنتظر فرانكلين كلارك ، أو المفتش جاب ولكن لشدة ما كانت دهشتي حين رأيته الشاب دونالد فريزر الذي نهض لاستقبالنا في شيء من الارتباك .

ولم يضغط بوارو عليه لكي يدلي بالأقوال التي جاء من أجلها ، وإنما دعاه الى مشاركتنا في وجبة طعام خفيفة ، مع بعض كؤوس من الشراب ، وبعد ذلك قال له :

– لقد جئت من بكسهيل يا مستر فريزر .. أليس كذلك ؟

– أجل .

– هل نجحت مع ميللي هيجلي ؟

– ميللي هيجلي ؟ انني في الواقع .. انني لم أرها .

ثم انفجر قائلا :

بل انني في الحقيقة لا أعرف لماذا جئت الى هنا !

فقال بوارو

ـ أنا أعرف ..

ـ كيف يمكنك أن تعرف ؟

ـ لقد جئت لأن لديك أقوالاً لا بد ان تدلي بها الى أحد .. وأنا الشخص الذي ينبغي أن تدلي بها اليه .

ـ أتعتقد هذا ؟!

ـ تماماً ..

وصمت الشاب برهة ، قبل أن يقول في خجل :

ـ أتؤمن بالاحلام يا مسيو بوارو ؟

وكان هذا اخر ما توقعت ان اسمعه ، ولكن بوارو كما لاح لي لم يدهش ، وإنما قال بهدوء :

ـ نعم .. هل رأيت حلماً ؟

ـ أجل .. وكان طبيعياً أن أحلم بها . ولكن ليس من الطبيعي ان يكون الحلم على هذا النحو الفظيع .

ـ أخبرني به ..

ـ كنت دائماً أحلم انني على البلاج انتظر عودة بيتي من غيبتها ، وكنت واثقاً في الحلم طبعاً انها ستعود يوماً . وكان أشد ما يهمني أن أعيد اليها حزامها يا إلهي ..

ـ وبعد ؟..

ـ وتغير الحلم ليلة أمس .. فرأيتها جالسة على الشاطىء ، ولكنها لم تشعر بي وأنا اقترب منها . يا إلهي .. لقد فاجأتها من الخلف ، ولففت الحزام حول عنقها ، و.. خنقتها به !

وأخفى الشاب وجهه بين يديه ، وقال .
ـ ولما ماتت تبينت انها لم تكن بيتي ، وإنما اختها ميجان .
ورفع الشاب رأسه ، وقال في الم :
ـ فما معنى هذا يا مسيو بوارو ؟
ـ اشرب كأسك ..

وعاد الشاب يسأل بعد ان أطاع الأمر
ـ أخبرني يا مسيو بوارو .. ما معنى هذا ؟
ولم أعرف بماذا أجاب بوارو ، لأني في تلك اللحظة سمعت طرقات ساعي البريد على صندوق بوارو الخاص ، فاندفعت الى الصندوق ومـا كدت أتناول الرسالة التي وجدتها فيه حتى نسيت كل ما سمعت من دونالد فريزر ، وانطلقت عائداً اجري إلي بوارو وأنا أهتف قائلاً :
ـ لقد وصلت .. الرسالة الرابعة .
فوثب واقفا ، واختطف الرسالة ، وفتحها ، وقرأ فيها مـا يلي بصوت مسموع « لم تستطع أن تفعل شيئاً ، يا لخيبتك .. ماذا تفعل أنت ورجال المباحث ؟ حسنا ، حسنا . اليست هذه متعة لطيفة . أين تكون الجريمة الرابعة ؟
« يا لك من مسكين يا بوارو ؟ انني حزين من أجلك .
« يجب يا رجل أن تتحرك .. فان الطريق لا يزال طويلاً أمامنا .
« هل يكون مسرح الجريمة التالية مدينة تيبرري ؟
« لا .. لا .. ان هذا الحرف لا يزال بعيداً .
« إذن ليكن موعدنا في بلدة دونكاستر في الحادي عشر من هذا الشهر . وداعا » .

الفصل الحادي عشر

دهاء المجرم

لم يكن في مقدر بوارو ، او رجال المباحث ، أن يفعلوا شيئاً – قبل وصول الرسالة الرابعة – إلا الانتظار . وكانت فترة هذا الانتظار مرهقة للاعصاب الى حد مزعج ، ولكن ما ان وصلت الرسالة الرابعة ، حتى انطلقت جميع القوى ، ككلاب الصيد ، لمطاردة الفريسة .

لقد أسرع المفتش كروم بالقدوم الى مسكن بوارو مر أدارة اسكلتلانديارد وفيما هو يبحث الموضوع معه ، اقبل فرانكلين كلارك وميجان بارنارد .. وقال كروم لبوارو :

– سوف آخذ هذه الرسالة معي يا مسيو بوارو.. يمكنك ان تحتفظ بنسخة منها إذا شئت .

– لا . لا داعي لهذا .

وسأل فرانكلين المفتش كروم قائلا :

– ماذا تنوي ان تفعل يا مستر كروم ؟

– ان اليوم الحادي عشر من الشهر يوافق يوم الاربعاء من الاسبوع التالي ، وهي فترة كافية لنثير اهتمام الرأي العام ونجعل الجميع يتعاونون معنا لمطاردة هذا المجنون . ولا شك ان كل مخلوق يبدأ اسمه بالحرف « د » سيكون على

حذر . كما اننا سنملأ البلدة برجال المباحث في ملابس مدنية .. وقد بدأنا فعلاً في اتخاذ هذه الخطوة .

فقال فرانكلين كلارك :

– من السهل أن يعرف الانسان انك رجل لا تهوى الألعاب الرياضية يا سيدي المفتش .

– ماذا تعني يا مستر كلارك ؟

لأنك لا تعرف ان يوم الاربعاء التـالي هو يوم الحفلة الرياضية السنوية في دونكاستر ، وان سباق الخيل المعروف باسم سانت ليجير ، سيجري في ذلك اليوم.

عندئذ قال المفتش في حيرة :

– آه . نعم . هذا حق .

– ان « ا ب. س. » ليس بالرجل الأبله ، وان كان مجنوناً .

وخيم الصمت علينا برهة ، كنا خلالها نتصور بلدة دونكاستر وهي تزدحم بجموع هواة الرياضة وسباق الخيل الوافدين من كل حدب وصوب .

وقال كلارك أخيراً .

– أعتقد أن الجريمة ستتم في حلبة سباق الخيل ، وربما اثناء انطلاق الجياد في مضمار السباق .

فنهض المفتش قائلاً :

– هذا من سوء الحظ

وتناول قبعته وانصرف .. وسمعناه يتبادل الحديث في الردهة الخارجيـة مع شخصية نسائية ، ولم تلبث تورا جراي أن أقبلت قائلة بأنفاس لاهثة :

– أخبرني المفتش كروم أن رسالة أخرى قد وصلت !

وأجاب فرانكلين كلارك ، بينما كانت تورا تخلع معطف المطر :

– انها بلدة دونكاستر هذه المرة ، وفي اليوم الحادي عشر من هذا الشهر ، أي في عيد سانت ليجير .

وقال بوارو

- لا يجب يا ابنائي أن نفقد الأمل .. لسوف نبذل جهودنا لنحول دون وقوع هذه الجريمة بأي ثمن . ومهما يكن ازدحام البلدة في ذلك اليوم بهواة الرياضة ، فان الضجة التي ستثيرها الصحافة تجعل كل شخص في تلك البلدة ، لا سيما الذي يبدأ اسمه بالحرف « د » يشك في الواقف بجانبه .. انني واثق أن نهاية المجرم المجهول قد اقتربت .

وتنهدت تورا جراي ، وقالت :

- لو أننا فقط نعرف عنه شيئاً .. لو اننا نعرف فقط ما اذا كان طويلاً أو قصيراً ، عجوزاً أو شاباً .

وفجأة قال بوارو لها

- بهذه المناسبة يا مس جراي ، هل أنت واثقة تماماً انك لم تري شخصاً غريباً بالقرب من المنزل في يوم مقتل السير سيرميكال كلارك ؟

- نعم كل الثقة .

- عجباً ! ولكن الليدي كلارك شاهدتك من نافذتها وأنت واقفة أمام مدخل القصر تتحدثين الى رجل غريب .

- لا بد أن تكون الليدي كلارك واهمة .. أوه ، ولكن

واضطرم وجه تورا جراي ، وقالت بسرعة :

- لقد تذكرت .. تذكرت . يا لي من حمقاء الواقع انني نسيت هذا الرجل ، ولكنني أعتقد انه ليس للامر هذه الأهمية كلها . انه مجرد مندوب لبيع الجوارب ، رجل من المحاربين القدماء الذين يكتسبون رزقهم ببيع بعض منتجات الشركات وكان قد اعترض سبيلي وأنا في طريقي الى مدخل القصر ، ولكنني اعتذرت له ولم أشتر منه شيئاً .. انه رجل مسالم هادىء من النوع الذي لا يترك في النفس أي أثر .

وكان بوارو في تلك اللحظة يضع رأسه بين يديه ، ويهتز الى الأمام وإلى

الخلف وهو يتمتم لنفسه « جوارب . جوارب . جوارب .. ولا شيء غير الجوارب . منذ ثلاثة أشهر سمعت هذه الكلمة . وسمعتها منذ أيام . وهانذا أسمعها الان .. »

وانتصب في جلسته ، ورمقني بنظرة حادة ، وقال :

- أتتذكر يا هاستنج عندما كنا في اندوفر ، وعندما دخلنا الدكان ، وصعدنا الى غرفة نوم المسز آسكر الواقعة خلفه ، ورأينا على المقعد زوجاً من الجوارب الجديدة ! وأني لأذكر الان انني اهتممت لسبب ما عندما حدثتني يا مس بارنارد عن والدتك التي اشترت زوجين من الجوارب لأختك بيتي ، وعن بكائها الحار لأنها ، أي بيتي ، ماتت قبل أن تراهما وكان ذلك في نفس يوم الحادث

وتوقف بوارو عن الحديث فجأة ، ثم راح يدور بعينيه في وجوهنا قبل أن يستطرد قائلا :

- أترون ؟ لقد تكرر هذا الأمر ثلاث مرات ، فلا يمكن أن يكون مجرد مصادفة .. والان ، أخبريني يا مس بارنارد ، هل اشترت والدتك الجوارب من متجر او من بائع متجول ؟

- من بائع متجول .. واني أتذكر حديثها عن اولئك المندوبين البؤساء الذين يدورون على المنازل لبيع منتجات بعض الشركات والمصانع .

وهنا هتف فرانكلين كلارك قائلا :

- ولكن ما هي العلاقة بين بائع جوارب متجول وهذه الجرائم الرهيبة يا مسيو بوارو ؟

فقال بوارو بحماس :

- سأقول لكم أيها الأصدقاء .. أن الأمر لا يمكن أن يكون مصادفة لقد وقعت ثلاث جرائم . وقبل وقوع كل جريمة كان ثمة رجل يبيع الجوارب في مسرحها فما معنى هذا ؟ معناه انه كان يستكشف الميدان الذي سترتكب فيه الجريمة .

ثم استدار نحو تورا جراي ، وقال بسرعة :

– صفي لنا ذلك الرجل يا مس حراي .

فارتسمت الحيرة على وجه تورا جراي ، وهي تقول .

– انني .. انني لا ادري تماماً .. كان رجلاً عادياً .. فوق الاربعين . يضع النظارة على عينيه ، ويرتدي معطفاً قديماً .

– وماذا أيضاً يا مس جراي ؟

– لا أذكر ، كان متخفياً ، فلم أر الشيء الكثير من ملامحه المهم انــه رجل من النوع الذي لا يترك في النفس أي أثر

فأومأ بوارو برأسه وقال

– صدقت يا آنسة .. ان هذا الرجل هو القاتل فعلاً ، انه الشخصيــة الباهتة التي لا تثير انتباه أحد ، فأرادت ان تثبت وجودها بهــذه الجرائم الرهيبة .

* * *

جلس المستر الكسندر برنابرت سوست في مكانه لا يريم . وكان طعــام الافطار أمامه كاملاً ، بارداً ، لم يلمسه وعلى المائدة ، صحيفة مفتوحة كان المستر سوست مستغرقاً في قراءتها .

ونهض من مكانه فجأة ، وراح يذرع غرفته جيئة وذهاباً ، ثم لم يلبث أن تهالك جالساً على مقعد وثير بجانب النافذة ووضع رأسه بين يديه ، وراح يكتم تأوهات الألم .

ولم يسمع صوت صرير الباب وهو يفتح ، ولا وقع أقــدام المسز ماربري صاحبة المسكن المفروش ، وهي تدخل ثم تقف وتقول :

– مستر سوست ؟ ماذا بك ؟. هل انت مريض ؟

فرفع الرجل رأسه وقال :

ـ لا ، لا شيء ، يا مستر ماربري .. انني فقط متوعك الصحة هـذا الصباح .

والقت المسز ماربري نظرة على مائدة الافطار ، ثم قالت :

- انك لم تلمس طعام أفطارك ، أهو الصداع مرة أخرى ؟

- نعم ، نعم .. وشيء من الدور .

ـ انني آسفة من أجلك يا مستر سوست .. هل ستخرج اليوم الى عملك أيضاً ؟

فوثب المستر سوست ناهضاً يقول :

ـ آه ، نعم ، ان علي أن اقوم بعمل مهم . مهم جداً .

ولاحظت المسز ماربري ارتعاد يديه من فرط الانفعال ، فقالت :

وهل .. وهل ستمضي بعيداً اليوم ؟

ـ لا .. انني ذاهب ، ذاهب .. الى ، الى بلدة شلتام .

والتقطت المستر ماربري الصحيفة الواقعة على الأرض لتعيدها الى المائدة ، فلما وقعت نظراتها على العناوين الضخمة في الصفحة الأولى ، قالت بصوت ينم على الخوف :

- ليس في الصحف اليوم حديث إلا عن الجرائم الرهيبـة ، انني أشعر بالارتعاد كلما قرأت عنها واتذكر جرائم « السفاح جاك » .

وتحركت شفتا المستر سوست ، ولكن لم يصدر عنهما صوت، فاستطردت السيدة تقول :

- دونكاستر ! انها البلدة التي قال انه سيرتكب فيها جريمته الرابعة غداً ، أليس هذا شيئاً رهيباً ؟ لو اني كنت أقيم في هذه البلدة واسمي يبدأ بالحرف « د » لهربت منها الى اقصى مكان .. ما رأيك يا مستر سوست ؟

ـ لا أدري يا مسز ماربري .. لا أدري .

يقال ان ٢ لافا من رجال الشرطة سيندسون بين المحتفلين بعيـــد سانت ليجير غداً للبحث عن ذلك المجرم المجهول . أوه .. ان حالتك تسوء يا مستر سوست ، هل آتي اليك بقليل من البراندي ؟ من رأيي الا تخرج اليوم .

فشد المستر سوست قامته ، وقال :

- لا بد من الخروج اليوم لأني على مواعيد كثيرة ، ولا مندوحة للانسان من أن يحافظ على مواعيده إذا أراد أن يثق الناس فيه . ومن طبيعتي أن أقوم بكل ما اتخذه من قرارات ، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تضمن النجاح في ميدان العمل .

- ولكن إذا شعر الانسان بالمرض ؟

- انني لست مريضـــاً .. مجرد صداع بسيط ، وبعض الدور لأني لم أنم جيداً .

ولم يسع المسز ماربري إلا أن تهز كتفيها ، وتحمل صحفة الطعام وتغـادر الغرفة ، بينما كان المستر سوست يضع في حقيبـــة سفر صغيرة « بيجامته » وأدوات حلاقة ذقنه ، وعشر علب مسطحة من الكرتون .

وبعد أن القى نظرة على دليل السكة الحديدية الموضوع على المائدة ، غادر الغرفة والحقيبة في يده

وفي الصالة وضع قبعته على رأسه ، وارتدى معطفه وهو يتنهد بعمق لفت اليه انتباه فتاة كانت خارجـ ة من غرفة في الجانب الآخر فنظرت اليه بقلق وقالت :

- هل تتألم من شيء يا مستر سوست ؟

- لا شيء يا ليلى !

- لقد كنت تتنهد بشدة .

- لا داعى لأن تقلقي يا ليلى ، انني بخير طاب يومك

- طاب يومك يا مستر سوست ، الى أين أنت ذاهب هـذه المرة ؟ . الى

الشاطىء ثانية ؟
– لا ، لا . بل الى شلتام
- انه مصيف لطيف فعلاً ، ولكن ليس أجمل من توركاي . سوف أمضي الصيف القادم فيه ، وبهذه المناسبة ، لقد كنت في توركاي عندما وقع حادث قتل السير سير ميكال ، أي كنت جد قريب من مسرح الجريمة .
– لا ، لا . ان توركاي تبعد عن سيرستون نحو ستة أو سبعة أميال .
– انها مسافة قصيرة جداً ، ومن يدري ، فلعلك رأيت القاتل دون أن تعرفه ، آه ، ماذا بك يا مستر سوست ، هل انت مريض ؟
– لا ، لا . انني بخير ، شكراً يا مسز ماربري .. وطاب يومك .
وقالت ليلى ماربري لنفسها ، وهي تشيعه بنظراتها :
– انه رجل مسكين ، يخيل إلي ان عقله ليس في حالة طبيعية .

* *

وقال المفتش كروم لمساعده :
– اكتب لي قائمة بأسماء جميع منتجي الجوارب النسائية ،ثم اتصل بمديريها وأعرف منهم أسمـــاء جميع مندوبي البيع الذين يتعاملون معهم ، وأعني بهم أولئك المندوبين المتجولين
– أهذا كله يتعلق بجرائم ا.ب. س؟
قال المفتش كروم على مضض :
– أجل .. انها فكرة بوارو . وربما لا تنتهي الى شيء إلا انه علينا ألا نهمل أية فكرة معقولة .
وقال الشاب توم هارتيجان لخطيبته ليلى ماربري
– لقد رأيت في هذا الصباح نزيلكم العجوز العجيب .
– من تعني ؟ المستر سوست ؟

- رأيته في بلدة أوستن يبدو كالدجاجة الضالة كالمعتاد أعتقد أن هذا المسكين نصف مجنون ، ولا بد أن يكون معه أحد يرعاه في الخارج . لقد سقطت من يده الصحيفة أولاً ، ثم سقطت منه تذكرة السفر دون ان يشعر إطلاقاً ، فلما أعدتهما اليه ، شكرني في اضطراب ، ولكنني أعتقد أنه لم يتعرف علي .

- إنه لم يرك إلا نادراً يا توم ولكن ماذا كنت تفعل في أوستن ؟

- كنت في طريقي منها الى شلتام

- وهكذا كان أيضاً المستر سوست .

- لا . كانت تذكرة سفره تدل على انه ذاهب الى دونكاستر .

- بل شلتام ..

- دونكاستر .. لقد قرأت اسم هذه البلدة بوضوح على التذكرة .

- ولكنه قال لي ولأمي انه ذاهب الى شلتام .

- ربما سمعتها الاسم خطأ . ولعله ذهب للفرجة على سباق الخيل .

- ولكن دونكاستر هي البلدة التي ستحدث فيها الجريمة الرابعة غداً !.

- لا تجزعي عليه .. ان اسمه لا يبدأ بالحرف « د » .

- والعجيب انه كان في توركاي بالقرب من سيرستون في المرة السابقة .

- إنها مصادفة عجيبة .. أليس كذلك ؟

وكان الاثنان يتمشيان على طريق نهر التايمس ، عندما أردف توم هارتيجان قائلاً وهو يضحك :

- ولعله كان أيضاً في بلدة بكسهيل وقت وقوع الجريمة الثانية .

فجمعت ليلى ما بين حاجبيها مفكرة ، ثم قالت :

- كان غائباً عن غرفته فعلاً ، وأنا أذكر لأنه كان قد نسي ثوب السباحة ، وكانت امي ترتقه له . وقد قالت لي في اليوم التالي « لقد نسي المستر سوست ثوب السباحة الذي كان ينوي ان يأخذه معه ، هل سمعت بالفتاة التي وجدت

مخنوقة على شاطىء البحر في بكسهل أمس ؟ »

وهنا ابتسم توم هارتيجان ، وقال ·

– ما دام كان ينوي ان يأخذ معه ثوب السبـــاحة ، فلا شك انه ذهب الى أحد المصايف يومذاك . ما رأيـك فيما لو كان نزيلكم العجوز هذا هـو القاتل ا. ب. س. !

فضحكت ايلي وقالت :

– المستر سوست المسكين ؟ انه لا يستطيع ان يؤذي ذبابة !

الفصل الثاني عشر

اليوم المشهود

-دونكاستر ؟!

أعتقد اني سوف أتذكر اليوم الحادي عشر من شهر سبتمبر مدى الحياة .

والواقع اني كلما سمعت عن عيد القديس ليجير ، تذكرت فوراً تلك الأحداث الرهيبة المتوالية التي وقعت في ذلك اليوم .

لقد كنا هناك في ذلك اليوم .. في دونكاستر . المفتش كروم وجميع معاونيه وآلاف من رجال المباحث ، وبوارو ودونالد فرايزر وفرانكلين كلارك ، وثورا جراي وميجان بارنارد وماري دراور .

وقررنا ان نوسع نطاق البحث بأن نتفرق في أنحاء البلدة ، وقد تم الاتفاق على أن يذهب كل من فرانكلين ودونالد فريزر بمفرده ، وان يصحب بوارو المس جراي ، الوحيدة بيننا التي سبق ان شاهدت القاتل ، وأن أصحب أنا ماري دراور ، لأن اسمها الثاني – كما أشار بوارو – يبدأ بالحرف « د » اذ ليس من المستبعد ان يتعمد المجرم المجهول طعن بوارو في الصميم بقتل واحد من أعوانه !

وقال لي بوارو ، ونحن نفترق :

- اطمئن يا هاستنج هذه المرة .. ان النجاح المتواصل سوف يدفع بالمجرم المجهول الى الايمان بحظه ، ومن ثم لن يكون شديد الحرص هذه المرة . وأكبر ظني انه سيرتكب بعض الأخطاء التي ستوقع به في أيدينا .

فقلت في شيء من الارتياب .

- انني أعتقد ان هذا المجرم لن يفي بوعده ويرتكب جريمته الرابعة هذه المرة ، وهو يدرك إحكام الحلقة حوله !

فابتسم بوارو وقال :

- إن ذلك المجرم يعاني هذا النوع من الجنون الذي يجعله يصر كل الاصرار على تنفيذ ما وعد به ، مهما تكن الظروف والأحوال ، لأنه سيدرك تماماً ان تراجعه عن تنفيذ خطته سيعني الفشل ، وهذا ما لا يتفق مع الدوافع التي دفعت به الى ارتكاب هذه الجرائم .

- أكبر الظن انه سيكون ماكراً جداً يا بوارو ، إذا قرر ارتكاب هذه الجريمة الرابعة .

- تأكد يا هاستنج ان عجلة الحظ قد دارت .. وسوف يقع هذه المرة في أيدينا .. الى اللقاء .

* * *

غمغم المستر ليدبتر بخفوت وامتعاض ، عندما نهض الرجل الجالس بالقرب منه في دار السينما ، وسار في طريق الخروج وهو يتخطاه متعثراً ثم يزداد تعثراً ويسقط قبعته على المقعد الأمامي ، ثم ينحني ويلتقطها ، وينصرف .

كل هذا ضيع بعض لحظات ثمينة من مناظر فيلم « ليس عصفوراً » الذي كان المستر ليدبتر ينتظر مشاهدته بفارغ الصبر .

وتملل المستر ليدبتر في مقعده ، وهو يتساءل في نفسه « لماذا لا ينتظر

هؤلاء الناس حتى نهاية الفيلم قبل ان ينصرفوا ؟! »

حسناً . لقد انصرف ذلك الجار المتمتر الثقيل الظل ، وها هو ذا المستر ليدبتر يستمتع بمتابعة الفيلم حتى نهايته .

وتنهد في ارتياح عندما اضيئت الأنوار في الصالة ..

ونهض واقفاً ببطء وهو يطرف بعينيه ..

ولم يكن من عادته ان يسرع بمغادرة دار السينما عقب انتهاء الفيلم، وانما كان يحب ان يتمهل حتى يعود الى واقع الحياة تماماً .

وتلفت حوله . ان الصالة لم تكن مزدحمة .. كان المتفرجون فيها عدداً قليلاً جداً. آه لا شك ان معظم الناس كانوا في تلك الساعة يتفرجون على سباق الخيل احتفالاً بعيد سانت ليجير .

واستعد المستر ليدبتر للخروج وراء المتفرجين الذين كانوا يتسـابقون الى أبواب السينما . لاحظ ان الرجل الجالس على المقعد الأمامي بالنسبة له ، ظل جالساً ، مطرق الرأس ، وكأنه مستغرق في النوم .

وشعر المستر ليدبتر بالسخط على مثل هذا الرجل الذي ينام في أثناء عرض فيلم رائع مثل « ليس عصفوراً » !

وهز كتفيه ، وسار في طريق الباب .

ولما وصل اليه ، راح ينتظر دوره للخروج ..

ولم يدر لماذا التفت وراءه الى حيث كان جالساً . وعلى أية حال فقد رأى جمعاً من الناس حول ذلك الرجل الذي ظنه نائماً في مقعده .

وتردد برهة ، ثم خرج ..

وهكذا فاتته فرصة الفرجة على الحادث الذي أقام الرأي العام وأقعده في جميع أنحاء البلاد .

لقد تبين لمدير الصالة حين هز الرجل الذي ظنه - هو أيضاً - نائماً ، إنـه مقتول بطعنة سكين في القلب .

واجتمع حوله بعض النظا ة الذين لم يكونوا قد انصرفوا بعد .

وساد الفزع الجميع حين هتف أحدهم مشيراً الى دليل ا . ب . س للسكة الحديدية الموضوع بجانب القتيل :

لقد ارتكب المجرم المجنون جريمته الرابعة !

* * *

غادر المستر سوست سينما ريجال وتطلع الى السماء .

كان الجو في ذلك المساء صحواً .. جميلاً .

وقال لنفسه : ما دام الله في سمائه ، فكل شيء في الأرض على ما يرام .

وسار في طريقه مبتسماً حتى وصل الى فندق بلاك سوان الذي كان ينزل فيه .

وصعد السلم الى غرفته الصغيرة الخانقة المطلة على فنـــاء داخلي ومرأب « جراج » للسيارات .

واختفت البسمة فجأة من وجهه حين لمح على كم معطفـــه – بعد دخوله الغرفة آثار دماء .

ولما لمسها ، وجدها لا تزال رطبة .. دماء رطبة !

ودس يده في جيب المعطف ، فاذا هي تخرج ممسكة بسكين حاد طويل النصل ، ملوث بالدماء أيضاً .

ودار بعينيه في انحاء الغرفة كحيوان واقع في الفخ

وتهالك جالساً على مقعد قريب ، وهو يتمتم لنفسه :

– هذه غلطتي أنا ..

وبدا كأنه يتحدث مع شخص مجهول بلهجة التلميذ الذي يلتمس الصفح من ناظر المدرسة .

ووقعت نظراته على حوض الاغتســـال ، فنهض اليه وخلع معطفه ،

وملأ الحوض بالماء ، وراح يغسل المعطف مما فيه من دماء ، لقد غدا الماء أحمر اللون !

وفي تلك اللحظة سمع نقراً على الباب .

وتسمر في مكانه لا يريم ، وقد راح يحملق فيما أمامه ببلاهة

وفتحت الباب سيدة شابة ممتلئة الجسم . ودخلت تحمل إبريقاً وتقول :

– معذرة يا سيدي .. هذا هو ماؤك الساخن .

واستطاع اخيراً ان يقول لها

– شكراً لقد اغتسلت بالماء البارد .

ولما رأى نظراتها تقع على الماء الأحمر في الحوض ، قال في فزع :

– لقد جرحت يدي .

وبعد لحظة طويلة ، طويلة جداً من السكون ، قالت :

– حسناً يا سيدي .

ووقف المستر سوست في مكانه كتمثال من الحجر !

لقد جاءت النهاية أخيراً ..

وأرهف سمعه !.

هل هم قادمون اليه الآن ؟.

ولكنه لم يسمع غير دقات قلبه المضطرب ..

وتحول جموده فجأة الى حركة دافقة ، فارتدى معطفه بسرعة ، وسار على أطراف أصابعه الى الباب وفتحه . ثم أرهف السمع مرة أخرى ، ثم هبط متسللا السلم ، وعند نهايته وقف حائراً وفجأة لمح الباب الخلفي المؤدي الى الفناء ، فانفلت منه ،وسار متمهلا امام اثنين من السائقين كانا يغسلان سيارتيهما ، ثم مضى الى شارع جانبي .

وظل ينتقل من شارع الى آخر في اتجاه المحطة ، وهو يتمتم :

– لو ان الحظ يساعدني فأستقل القطار دون ان يتعرف علي أحد !

***

كان المفتش كروم جالساً ينصت الى حديث المستر ليدبتر المضطرب :

- أؤكد لك يا سيدي المفتش ان قلبي يهوي بين ضلوعي كلما فكرت في ان القاتل الرهيب كان جالساً بجواري طيلة عرض الفيلم .

فتذرع المفتش كروم بالصبر وقال :

- دعنا من هذه التعليقات يا مستر ليدبتر، أرجوك ان تحدثني بوضوع . هل تقول ان ذلك الرجل انصرف قرب نهاية الفيلم ؟

- اجل .. اجل ..

- وهل مر بك وتعثر في أثناء مروره ؟

- أجل انني ادرك الآن انه تظاهر بالتعثر . ولا شك انه طعن الرجل الذي كان جالساً أمامي وهو يتظاهر بأنه يسترد قبعته

- ألم تسمع شيئاً ، لا صيحة ، ولا آهة ولا شيء ؟

ربما سمعت شيئاً ، ولكني حسبته من الفيلم .

- هل تستطيع ان تصف لنا هذا الرجل ؟

- كان رجلا ضخماً يزيد طوله على ستة أقدام .. كان مارداً .

- أشقر أم خمري اللون ؟!

- لست واثقاً من هذا .. ولكنه كان أصلع . رهيب المنظر .

- هل كان يعرج ؟!

- آه ما دمت قد ذكرتني يا سيدي المفتش ، فيمكنني ان أقول انه كان يعرج فعلا . واذكر أيضاً انه كان ملوح الوجه كأنه نصف زنجي .

- هل كان موجوداً في مقعده قبل بدء عرض الفيلم ؟

- لا .. لقد حضر بعد البدء بقليل ، عندما أظلمت القاعة

وأومأ المفتش كروم برأسه . وبعد انصراف المستر ليدبتر ، قال لمساعده :

- هذا أسوأ أنواع الشهود .. انه على استعداد لأن يقول أي شيء توحي

به اليه . وأكبر الظن انه لا يعرف اي شيء عن شكل الرجل .. حسناً .. استدع مدير الصالة .

وأقبل مدير الصالة ، الذي كان عسكرياً سابقاً ، ورفع يده بالتحية ، فقال له المفتش كروم :

ــ والآن ، دعنا يا جيمسون نسمع شهادتك .

ورفع جيمسون يده بالتحية العسكرية مرة اخرى ، وقال :

ــ تماماً يا سيدي .. عند قرب انتهاء العرض يا سيدي ، سمعت أن أحد المتفرجين لا يزال جالساً في مقعـــده ، في حالة تدل على أنه نائم أو مريض او أي شيء من هذا القبيـــل ، وكان ذلك السيد جالساً في مقعـد بالصالة . وكان منحنياً على نفسه بشكل يلفت الأنظار ، ورأيت سيـداً آخر واقفاً بالقرب منه ، يقول ان جلسة ذلك السيد الآخر غير طبيعية . ولما وضع يده على كتف السيد المنحني على نفســـه ، لاحظت فوراً انها تلوثت بالدماء ، فأرسلت من فمي سيلا من اللعنات ، وأسوأ من هذا يا سيدي اننا وجدنا السيد المنحني على نفسه مقتولاً بطعنة في صدره أمام القلب والدماء لا تزال تنساب منها ، وعلى المقعد الذي بجواره دليل ا. ب. س. للسكة الحديدية ، فانتشر الفزع بيننا وبادرنا الى إخطار مركز الشرطة .

فقال المفتش كروم :

ــ حسناً يا جيمسون ، لقد أحسنت التصرف ..

ــ شكراً يا سيدي ..

ــ ألم تلاحظ رجلا غادر الصالة قبل نهاية الفيلم بلحظات ؟

ــ غادرها كثيرون قبل نهاية العرض يا سيدي .

ــ هل يمكن ان تصفهم ؟

ــ لا أظن.. وإنما أعرف منهم فقط المستر جيوفري بان تل ، والشاب سام بيكر وزوجته الحسناء ، ولكنني لم ألاحظ شخصاً بالذات يا سيدي .

- هذا أمر يؤسف له .. حسناً يا جيمسون .

- شكراً يا سيدي .

ورفع جيمسون يده بالتحية العسكرية وانصرف .

وما كاد ينصرف ، حتى أقبل أحد رجال الشرطة ، وقال للمفتش كروم:

- إن المسيو بوارو ومعه سيد آخر يريدان مقابلتك يا سيدي .

وقطب كروم جبينه ، وقال :

- دعهما يدخلان .

الفصل الثالث عشر

جريمة دونكاستر

ودخلت وراء بوارو الى مكتب المفتش كروم . وبعد ان تبادلنا التحية قال المفتش كروم لبوارو :

– لقد ارتكب المجرم المجهول جريمته الرابعة يا مسيو بوارو .

وتسمرنا في أماكننا من فرط الجزع والدهشة ، بينما قال المفتش مستطرداً :

– وفي هذه المرة استخدم السكين أداة للقتل .

– وهل وجدتم بجوار القتيل دليل ا. ب س. للسكة الحديدية ؟

– اجل ..

– وهل عرفتم شخصية القتيل ؟

– أجل .. لقد أخطأ القاتل المجهول هذه المرة ، لأن القتيل رجل يدعى جورج ايرسفيلد .

– عجباً !

– لعله تجاوز حرفاً هذه المرة .. لنسمع الشاهد التالي ، فقد عرفت انه يريد الانصراف بسرعة .

ودخل رجل في منتصف العمر ، دميم الشكل ، مضطرب الأعصاب ، حاول أن يعبر عن اضطرابه بالثرثرة ، ولكن المفتش كروم سأله قائلا :

– اسمك ايها السيد ؟

– دونز . روجر دونز .

– مهنتك ؟

– مدرس بمدرسة هايفيلد الثانوية

– أخبرنا الآن بما تعرفه عن الحادث يا مستر دونز .

– أستطيع أن أقول لكم ما أعرفه بكل إيجاز .. عندما انتهى عرض الفيلم ، نهضت لأنصرف ، وكان بالقرب مني رجل حسبته نائماً ، لأنه كان منحنياً على نفسه ، وكدت أتعثر في قدميه وأنا أحاول المرور أمامه .. وفجأة ناديت على مدير الصالة حين خطر لي أن الرجل مريض ، ولما رفعت يدي عن كتفه رأيتها ملوثة بالدماء . وأدركت فوراً انه طعن بسكين نافذة الى القلب ، وقد لاحظنا – مدير الصالة وأنا – وجود دليل ا. ب. س. للسكة الحديدية على المقعد المجاور . وأؤكد لكم أيها السادة ، ان قلبي كاد يقف من فرط الفزع ، وقلبي بطبيعته ضعيف .

ونظر المفتش كروم الى المستر دونز ، ثم قال له :

– يمكنك ان تعتبر نفسك سعيد الحظ يا مستر دونز .

– لماذا يا سيدي ؟

– قبل أن أخبرك اريد أن أسألك : هل كنت جالساً على مقربة من الرجل الذي قتل ؟

– نعم .. على مسافة مقعدين منه . وكنت في أول الأمر جالساً بجواره مباشرة ، ثم انتقلت الى مقعد ليس أمامه أحد حتى أرى الفيلم

بوضوح .

ـ انك في نفس طول الرجل القتيل ، وتلف حول عنقك مطرفاً صوفياً كما كان الأمر معه .

ـ ولكن ، ما علاقة هذا كله يا سيدي ؟

فقال المفتش كروم :

ـ أراهن ان القاتل كان يتبعك انت إلى دار السينما ، وكان ينوي أن يقتلك لأن اسمك الأخير يبدأ بالحرف « د » . ولكنك حين انتقلت إلى مقعد آخر أخطأك وقتل المستر جورج ، وهو يحسبه انت .

ولم يحتمل قلب المستر دونز الضعيف أكثر من هذا،فتهالك الرجل على أقرب مقعد اليه ، وهو يلهث قائلا :

ـ ماء .. أريد ماء !

ولما أسرع أحد السعاة اليه بالماء ، أفاق الرجل ... فغمغم وهو ينهض مضطرباً :

ـ لا . لا . لا أصدق هذا! لماذا يريد أن يقتلني أي إنسان..هو او غيره؟ إنني رجل مسالم .. لم أسيء إلى أحد أبداً .. هل تريدون مني شيئاً آخر ؟ لا ! حسناً . طاب يومكم أيها السادة ، طاب يومكم ..

واستدعى المفتش كروم أحد مساعديه ، وقال له :

ـ رايس .. ارسل اثنين من رجالنا لحراسة المستر دونز دون أن يشعر ، فانني أعتقد ان المجرم المجنون قد يعمد إلى تصحيح غلطته ، ويحاول القضاء على هذا الرجل !

وأومأ بوارو برأسه موافقاً ، وقال :

ـ ما دام ذلك المجرم قد بدأ يخطيء ، فلا شك ان أخطاءه سوف تتوالى !

– وأقبل أحد رجال الشرطة ، وقال

– في الخارج رجل وسيدة من فندق بلاك سوان لديهما أقوال يريدان الادلاء بها في موضوع جرائم « ا. ب. س. » .

– أدخلهما .. أدخلهما بسرعة .

ودخل صاحب فندق بلاك سوان ، وكان رجلاً كبير الجسم يدعى المستر بول ، ومعه سيدة شابة ممتلئة الجسم ، ينم وجهها عن الانفعال الشديد .

قال الرجل بصوت خفيض غليظ :

– أرجو ألا أضيع وقتكم الثمين أيها السادة ، ولكن هذه الفتـــاة ماري تؤكد ان لديها اقوالاً هامة بخصوص المجرم « ا.ب. س » .

فقال المفتش كروم :

– حسناً يا فتاتي ، ما اسمك ؟

– ماري ، ماري ستراود .

– ماذا تريدين أن تقولي يا ماري ؟

فنظرت ماري الى صاحب الفندق متسائلة ، فقال هذا :

– ان عملها في الفندق هو حمل الماء الساخن الى النزلاء . وكان لدينا نحـو سبعة أو ثمانية نزلاء ، بعضهم جاء للفرجة على السباق ، وبعضهم يقيم لاغراض تجارية . والآن .. تكلمي يا فتاة .

فقالت ماري وهي تدير عينيها في وجوه الجميع .

– طرقت على الباب ، ولكن لم يرد علي احد ، وأنا عادة لا أدخـل إلا إذا قال لي النزيل « ادخلي » ولما لم يقل أحد شيئاً ، دخلت ! ووقفت برهة انظر الى النزيل وهو يغسل يديه في الحوض .

وتوقفت عن الحديث فجأة ، فقال كروم :

– استمري . وبعد ؟!

- قلت له انني جئت بالماء الساخن ، فقال انه اغتسل بالماء البارد ، ونظرت الى الماء في الحوض فوجدته . يا للهول ، أحمر .

فهتف كروم في اهتمام :

- أحمر ؟!

وهنا تدخل المستر بول في الحديث ، فقال :

- واخبرتني الفتاة انها رأته أيضاً ممسكاً بكم معطفه ، كأنما كان يغسله في الحوض ، لأن الكم كان غارقاً بالماء !.

- تماماً يا سيدي ، وكان وجهه يدل على انه في حالة غير طبيعية

- متى كان ذلك ؟

- في نحو الخامسة والربع مساء أو أكثر قليلاً .

- أي منذ ثلاث ساعات ، فلماذا لم تأت يا مستر بول مع الفتاة فوراً ؟

فقال المستر بول :

- لم نسمع بنبأ الجريمة إلا أخيراً ، ولما سمعت الفتاة النبأ ، تذكرت الماء الأحمر في الحوض ، فصرخت واخبرتني بما رأت ، فأسرعت الى غرفة ذلك النزيل فلم أجده فيها ، ولهذا بادرت بالحضور مع ماري .

فتناول كروم ورقة وقلما وقال :

- صفي ذلك النزيل بسرعة يا ماري .

- رجل متوسط الحجم ، منحني القامة قليلاً ، يضع على عينيه نظارة طبية .

- وملابسه ؟.

- بذلة قاتمة اللون وقبعة من نوع هامبرج ، وتدل ملابسه بوجه عام على رقة الحال .

ولم تستطع ماري أن تضيف الى هذا الوصف أكثر من ذلك .

وارسل كروم اثنين من رجاله فوراً الى فندق بلاك سوان ، وما هي غير غير لحظات حتى عادا ومعهما سجل اسماء النزلاء فيه. وأشار المستر بول صاحب الفندق الى اسم بين الاسماء وقال

ـ هذا هو توقيعه يا سيدي .

وتجمعنا حول السجل ، حيث قرأ المفتش كروم الاسم قائلاً

ـ ا.ب سوس ، أو سوش !

وغمغم بوارو بصوت له دلالته :

ـ أي ا. ب س !

وسأل كروم صاحب الفندق قائلاً :

ـ ألم يترك هذا النزيل شيئاً وراءه !

ـ ترك حقيبة سفر متوسطة الحجم فيها ملابس داخلية قليلة ، ومجموعة من علب الكرتون المسطحة .

ـ علب كرتون مسطحة ؟ ماذا بداخلها ؟

ـ جوارب . جوارب نسائية

وهنا التفت كروم الى بوارو وقال :

ـ أهنئك يا مسيو بوارو !

* * *

عاد المفتش كروم الى مكتبه في اسكتلانديارد

وصلصل جرس التليفون على مكتبه، ورفع المسماع حيث سمع صوت عامل التليفون يقول :

ـ هنا شاب يريد ان يدلي بأقوال في قضية ا. ب. س. يا سيدي .

وتنهد كروم وقال لنفسه كل واحد يريد ان يدلي بشيء في هذه القضية، وليتهم يدلون بما يفيد .

ثم قال في التليفون :

ـ دعه يصعد .

ودخل أحد رجال المباحث يصحب شاباً متردداً ، يقول عنه .

هذا هو المستر توم هارنيجيان يا سيدي المفتش . ان لديه اقوالاً عن قضية ا. ب. س.

فنهض المفتش وصافح الشاب ، ثم قال له :

ـ طاب صباحك يا مستر هارنيجيان .. تفضل بالجلوس .. هل تدخن؟ حسناً .. ماذا لديك من أقوال ؟

وجلس توم هارنيجيان ، وهو كما نذكر خطيب ليلى ماربري ابنـــة المسز ماربري صاحبة البنسيون الذي يقيم فيه المستر الكسندر بونابرت سوست ..

جلس توم هذا في شيء من الروع ، إذ كانت تلك اول مرة يدخل فيهـــا أدارة اسكتلانديارد ، وأخيراً قال :

ـ ربما لا يكون في أقوالي شيء ، ولعلي بذلك اضيع وقتكم الثمين ..

ـ هذا ما سوف نعرفه بعد ان نسمع حديثك يا مستر هارنيجيان .

ـ انني يا سيدي خاطب لفتاة شابة تدير أمها شقة مفروشة حيث تؤجر غرفـــاتها لبعض النزلاء وتقع في طريق كامدن تاون بلندن كما تعلم يا سيدي .

ـ حسناً ، وبعد !

وهي في الطابق الثاني .. وينزل في احدى الغرف المفروشة منذ عام رجل يدعى سوست

ـ سوست ؟ آه !!

ـ أجل يا سيدي . رجل في منتصف العمر ، غريب الأطوار ، هادىء الطباع ، يبدو ان الحياة قست عليه بعض الشيء . ويمكنني القول انه من النوع الذي لا يؤذي ذبابة ، ولهذا ما كان يخطر ببالي أبداً ان اتهمه بشيء لولا بعض الدلالات الغريبة التي لاحظتها عنه

وراح توم في شيء من الاضطراب والارتباك يحدث المفتش كروم بقصة مقابلته للمستر سوست في اوستن ، وكيف أعاد اليه صحيفته وتذكرة سفره .. ثم استطرد يقول :

– أترى يا سيدي . لقد كانت ليلى ، اعني خطيبتي ، واثقة بأنه سيسافر إلى شلتنام ، بينما كان مسافراً ، كما ظهر من تذكرته ، إلى دونكاستر ولم اهتم بهذا كثيراً في اول الأمر ، ولكن عندما استطردت في الحديث معها وعلمت منها انه كان في توركاي القريبة من سيرستون عند وقوع الجريمة الثالثة ، وانه كان غائباً في مكان ما على شاطىء البحر عند وقوع الجريمة الثانية في بكسهيل . عندما سمعت هذا ، بدأ الشك يخامرني في امره ، رغم انه – في رأيي لا يستطيع أن يؤذي ذبابة !

وبعد برهة صمت وجيزة ، استطرد الشاب يقول :

– ولما قرأنا نشرة إدارة اسكتلانديارد عن رغبتها في الاستدلال على كل من يبدأ اسمه بالحرفين « ا. ب. » ثم الاسم سوس أو سوش ، أسرعت بالاتصال بالمسز ماربري حيث علمت منها أن نزيلهـا الغريب الأطوار المستر سوست يحمل اسماً كاملا يبدأ بالحرفين ا. ب. وقد دهشنا كثيراً وابينا ان نصدق أنفسنا .. ولكن المسز ماربري كانت واثقة تماما ان نزيلها هذا كان غائبا عن غرفته في الليالي التي وقعت فيها الجرائم الثلاث الأخيرة ، وراحت هي وابنتها ، تعتصران ذاكرتيهما لتتذكرا أين كان في أثناء وقوع الجريمة الأولى ، جريمة أندوفر التي حدثت منذ ثلاثة أشهر ، وقد تذكرت المسز ماربري أن أخا لها كان قد وصل من كندا في ذلك الحين ،

ولما لم تجد له غرفة يبيت فيها ، اقترحت ليلى عليها أن يبيت في غرفة المستر سوست لأنه قال يومذاك أنه سيغيب ليلته في الخارج . وقد تحرينا تاريخ وصول الباخرة التي أقلت شقيق المسز ماربري إلى لندن ، وعلمنا انها وصلت ميناء ساوثمبتون في صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر يونيه الماضي .

وكان المفتش كروم ينصت باهتمام إلى حديث الشاب .. فلما فرغ من حديثه قال له :

– أهذا كل شيء ؟

– أجل يا سيدي ..

– لقد أحسنت بمجيئك الينا .. أين المستر سوست هذا الآن ؟ اني أحب أن التقي به لألقي عليه بعض الاسئلة .. هل هو في غرفته الآن ؟

– أجل يا سيدي ..

– متى عاد ؟

– من دونكاستر ؟ في ليلة وقوع الجريمة .. وتقول المسز ماربري انه لا يكف عن شراء الصحف ولا عن الحديث عن نفسه !

وبعد ان دون المفتش كروم العنوان ، شكر توم هارنيجان بحرارة ، ثم استدعى احد مرؤسيه – بعد انصراف توم – وطلب منه أن يرسل ببعض رجال المباحث بمراقبة عنوان المستر سوست .

* *

مرة أخرى تلفت المستر سوست حوله في جوانب غرفته المفروشة بمسكن

المسز ماربري ، وبدت في عينيه نظرة الحيوان الواقع في الشرك وفجأة نهض ، وقد قرر أن يخرج .. إلى أين ؟ نه لا يدري ..

وتسلل إلى الباب ، وفتحه .. وأطل منه برأسه ، وشعر بالمسز ماربري وهي تتحرك في المطبخ . ورعف السمع قليلاً ثم سار على أطراف أصابعه ، وهبط من المسكن إلى الباب الخارجي وفتحه ووقف برهة يتلفت حوله .

إلى أين يذهب ؟

ومرة أخرى شعر أنه لا يدري ..

الفصل الرابع عشر

في اسكتلانديارد

ومرة أخرى أنعقد مؤتمر في اسكتلانديارد .

وضم هذا المؤتمر نائب الحكمدار والمفتش كروم ، والمسيو بوارو ، وأنا ..

وقال نائب الحكمدار لبوارو :

– كانت ضربة معلم تلك التي ذكرت فيها موضوع الجوارب النسائية يا مسيو بوارو . فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن القاتل كان يتظاهر ببيع الجوارب النسائية ..

فبسط بوارو يديه ، وقال :

– كان الأمر واضحاً بعد أن سمعت كلمة « الجوارب » تتردد كثيراً على ألسنة المقربين الى الضحايا

والتفت نائب الحكمدار إلى المفتش كروم ، وقال :

– هل وضحت لك كل غوامض هذه الحالة يا كروم !

– كلها تقريباً يا سيدي .. هل أسرد كل ما لدينا من معلومات حتى الآن ؟

– أرجوك أن تفعل ..

– لقد ثبت لنا انه كان في فندق ببيت بمصيف توركاي قبل وقوع جريمة سيرستون بيوم واحد ، وقد سجل اسمه في الفندق « ا. ب. سوست » وثبت

انه عاد إلى الفندق في ليلة وقوع الجريمة في الساعة العاشرة والنصف مساء .. أي كان في امكانه أن يستقل قطار الساعة التاسعة والسابعة والخمسين دقيقة من محطة سيرستون فيصل إلى محطة توركاي في العاشرة وعشر دقائق .

وصمت المفتش كروم برهة ، قبل أن يستطرد قائلاً :

– وكذلك الحال بشأن بكسهيل . لقد نزل في فندق جلوب وسجل اسمه ا. ب. سوست . وعرض جواربه للبيع على أكثر من اثنتي عشرة سيدة منهن المسز بارنارد ، وغادر الفندق في ساعة مبكرة من مساء وقوع الجريمة ، ثم عاد إلى لندن في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالي .. أما بشأن اندوفر ، فقد نزل في فندق ثيثرز ، وعرض جواربه على المسز فاولر جارة المسز آسكر – المجني عليها – كما عرضها على أكثر من خمس سيدات آخريات . وقد حصلت على الجورب الذي اشترته المسز اسكر منه لإهدائه لأبنة أخيها ماري دراور كما يبدو .. حصلت عليه من ماري ، وثبت أنه من نفس الصنف الذي يبيعه المستر سوست.

فقال النائب الحكدار :

– هذا عظيم جداً حتى الان .

– وبعد المعلومات التي أدلى بها توم هارنيجان ، ذهبت بنفسي إلى مسكن المسز ماربري حيث علمت أن المدعو المستر سوست خرج من غرفته دون أن يشعر به أحد . وقمت بتفتيش هذه الغرفة ، وثبت بما لا يدع مجالاً لأي شك انه المجرم المجهول . لقد عثرت على « رزمة » من أوراق الرسائل من نفس النوع الذي كتبت عليه رسائله إلى بوارو ، وكذلك وجدت في داخل خزانة الملابس كمية كبيرة من الجوارب النسائية في علب مسطحة ، ولفافة بها مجموعة من دليل ا. ب. س. للسكة الحديدية ، كلها جديدة . وكانت اللفافة تشبه لفافات علب الجوارب تماماً ، بحيث يظن الذي يراها لأول وهلة انها تضم علب جوارب لا مجموعة من دليل ا. ب. س. للسكة الحديدية

وقال نائب الحكمدار :

انه حتماً مجنون .

قال المفتش كروم بلهجة الانتصار

- وقد عثرت على شيء آخر .. عثرت في هذا الصباح فقط ، ولم تتح لي الفرصة بعد لإبلاغ النبأ رسمياً . والواقع أنني لم أكن أنتظر أن أجد السكين المستعملة في الجريمة الأخيرة في غرفته .

فقال بوارو :

- مهما بلغت درجة جنونه ، فلا يعقل أن يخفي السكين في غرفته !

- أياً كان الأمر ، فالمجنون ليس شخصاً متزن التفكير .. ومن ثم فلا يستطيع الانسان أن يحكم على نتائج تصرفاته بالمقدمات المنطقية . ولهذا خطر لي انه ربما عاد بالسكين إلى مسكنه ، ولكنه أخفاها في مكان آخر فماذا يمكن أن يكون ذلك المكان الاخر ؟ انه قائمة الصالة والمفروض أن أحداً لا يحرك قائمة الصالة عن موضعها ، وبعد الكثير من الجهد أستطعت مع رجالي أن نحرك قائمة الصالة قليلا عن الجدار ، فوجدنا السكين وراءها ..

- نفس السكين ؟

- أجل . وكانت لم تزل ملوثة بالدماء

فقال نائب الحكمدار :

- أحسنت يا كروم . لم يبق أمامنا غير شيء واحد .

- ما هو يا سيدي ؟

- القبض على الرجل نفسه !

فقال كروم بلهجة تنم عن الثقة الكاملة :

- لسوف يتم هذا في أقرب فرصة ..

والتفت الى بوارو ، وقال :

- ما رأيك يا مسيو بوارو ؟

وبذا كان بوارو قد تنبه من ذهوله ، وقال :

– معذرة ، ماذا تقول ؟

– كنا نقول ان القبض على ذلك المجرم المجنون مسألة وقت .. فما رأيك ؟

– أوه ، نعم ، نعم . بلا شك .

وكان صوته ينم عن شرود الفكر ، فقال له نائب الحكمدار :

– هل هناك ما يثير قلقك يا مسيو بوارو ؟

– ان هناك ما يهمني جداً أن اعرف الاجابة عليه ، وهو السبب .. المبرر الدافع على هذه الجرائم .

فقال نائب الحكمدار في ضجر :

– ولكن الرجل مجنون .. الا يعتبر هذا سبباً كافياً ؟

– لا يا سيدي .. ان هذا لا يعتبر سبباً كافياً في رأيي .

فقال كروم :

– ربما يتضح لنا السبب عندما نقبض عليه .

وقال نائب الحكمدار :

– ترى أين هـــو الآن ؟

* * *

توقف المستر سوست بجوار دكان الفاكهة الواقع أمام دكان المسز آسكر ، عبر الشارع ، وراح ينظر الى دكان المسز آسكر .

نعم .. ان اللافتة تحمل اسمهـــا بوضوح « ا. آسكر » حلوى وسجائر وصحف ، وبجانب اللافتة ، ورقة مكتوبة عليها « للايجار » .

لقد أصبح الدكان خالياً بلا حياة .

« معذرة يا سيدي .. »

قالتها زوجة الفاكهي للمستر سوست لكي تتناول بعض ثمار الليمون .
واعتذر لها وتحرك جانباً ..
وفي بطء وتمهل ، راح يسير متثاقلاً في اتجاه الطريق العـــام المؤدي الى خارج البلدة
ان الأمر شاق .. شاق تماماً لأنه لم يعد يمتلك قرشاً واحداً .
وأشق من هذا انه لم يتناول طعاماً طوال يومه ،ويبدو ان الجوع يملأ النفس بمشاعر غريبة ، ويجعل الرأس خفيفاً مضطرباً .
ولاحت منه نظرة الى واجهة « كشك » لبيع الصحف ، فطالعته العناوين الضخمة عن جرائم « ا . ب . س »الرهيبة ؛ وعن المجرم الذي اختفى ، وعـن المؤتمر الذي اشترك فيه هيركيول بوارو مع رجال المباحث .
وتمتم المستر سوست لنفسه قائلاً « لو ان المسيو بوارو يعرف !.. »
وعاد يستأنف السير ..
ولكنه قال لنفسه
– لن استطيع ان امضي هكذا طويلاً .
انه يحرك قدماً أمام قدم ، يا لها من حركة عجيبة !
حقاً ان عملية المشي عجيبة غريبة لمن يلاحظها .
ولكن اليس الانسان حيواناً عجيباً غريباً ؟
أو ليس هو ، الكسندر بونابرت سوست ، حيواناً عجيباً غريباً بوجـه خاص ؟!
لقد كان هكذا دائماً ..
كان الناس دائماً يضحكون منه ، وعليه ..
وهو لا يستطيع أن ينحي عليهم باللوم ..
الى اين هو ذاهب ؟ ..
انه لا يعرف ..

لقد وصل الى النهاية ، ولم يعـــد في مقدوره أن يرى شيئاً غير تحركات قدميه ..

قدم تمضي أمام قدم .

ورفع رأسه ، ورأى الاضواء امامه ، ولافتة كبيرة مكتوبة عليهـــا : « مركز الشرطة » .

وضحك المستر سوست ، وقال :

- ما عجب هذا ؟

ثم تقدم نحو المدخل ، وقبل ان يصل الى اولى درجات السلم ، تمايـــل واهتز .. ثم سقط على الأرض مغشياً عليه !

الفصل الخامس عشر

بوارو يسأل

كان يوما من أيام نوفمبر الصافية الأديم ، وكان الدكتور ثومبسون وكروم والمفتش جاب قد جاءوا الى مسكن بوارو ليخبروه بآخر تفاصيل قضية «ا. ب. سوست » وكان بوارو ملازما الفراش بسبب نوبة برد

وقال المفتش جاب :

– لقد حول قاضي التحقيق قضية ا.ب. سوست الى محكمة الجنايات .

وقلت أنا :

– هل سيصر الدفاع الى انه مجنون غير مسؤول عن جرائمه ؟

فقال جاب :

– ان الدفع بالجنون لن يؤدي الى اطلاق سراح المتهم ، بل سيدفع به الى مصحة الأمراض العقلية حيث لا يخرج منها إلا بمرسوم .

ثم أردف قائلا :

– ولكنني أعتقد ان المحامي المستر لوكاس يرى أمام المتهم ثغرة يمكنه النجاة منها ، وهي اقامة الدليل الحاسم على ان سوست لم يكن في بكسهيل ليلة وقوع الجريمة . ولكنه لن يستطيع في رأيي ان ينقذ المتهم من حبل المشنقة في نهاية الأمر .

وقال بوارو للدكتور ثومبسون

– ما رأيك يا دكتور ؟

– تسألني عن رأيي عن سوست ؟. انني لا أدري ماذا اقول ، انه يتظاهر بتمام العقل والحكمة . ولم أجد حتى الآن أي عرض من أعراض الجنون في حديثه أو تصرفاته .. ولكنه مصاب بداء الصرع .

– عجبا !!

لقد فاجأته نوبة الصرع وهو يدخل مركز الشرطة في اندوفر .

فسألت الطبيب قائلا :

– هل يمكن أن يرتكب المريض بالصرع بعض الاعمال ، كالجرائم مثلا ، دون أن يشعر بما يفعل ؟ انني أحس انه صادق في انكاره أمام المحققين .

– لا تنخدع بحركاته وأقواله المسرحية عندما كان يقسم أمام المحققين « بالله العظيم ثلاثا » انه لم يرتكب أية جريمة من هـذه الجرائم . رأيي انه كان على ادراك كامل بما ارتكب !

وقال كروم

– ان تحمس المجرم في الانكار يكون في كثير من الاحيان دليلا على ادانته .

وقال الدكتور ثومبسون

– والدليل الحاسم على ادراكه التام لارتكابه هذه الجرائم ، تلك الرسائل التي أرسلها اليك يا مسيو بوارو . انها تدل على عقليـــة تعرف كيف تحكم التدابير .

وقال بوارو :

– ألم يقل سوست شيئا بخصوص هذه الرسائل بعد ؟

– لا . انه لا يزال مصراً على انه لا يعرف من أمرها شيئا .

– انني شخصيا لن اعتبر القضية منتهية حتى أعرف لمـاذا اختارني بالذات لكي يرسل هذه الرسائل الي .

طبعا ، طبعا .. ان هذا من حقك .

وقال بوارو :

- وذلك الشاهد العجيب المدعو سترانج ، الا يزال مصراً على قوله بأن المتهم كان يلعب الدومينو معه الى ساعة متأخرة من مساء اليوم الرابع والعشرين من يوليو ، وفي فندق ببلدة ايستبورن ؟

وأجاب المفتش جاب الذي كان قد بقي بعد انصراف الدكتور ثومبسون :

- نعم .. انه مصر عليها كل الاصرار . هل يهمك أمر هذه الشهادة يا بوارو ؟

- كل الأهمية ..

- ولكنها لا تهمني كثيراً لأني لا أصدقها .. إلا ان المحامي لوكاس سوف يعرف كيف يستفيد منها في دفاعه .

- صف لي ذلك الشاهد العنيد يا جاب .

- انه رجل في نحو الاربعين ، قوي البنية ، متين الجسم ، شديد الثقة بنفسه وبارائه ، يعمل مهندسا في المناجم . وهو الذي تقدم من تلقاء نفسه للشهادة ، وأصر عليها وأجل بسببها سفره الى شيلي .

فقال بوارو مفكراً :

- أي انه من طراز الرجال الذين يرفضون الاعتراف بالخطأ مهما يكن الحال .

فقلت أنا ، وكنت قد سمعت شهادته اثناء التحقيق :

- انه من أشد الناس عناداً وأصراراً على اقواله .. لقد اقسم بكل شيء مقدس انه التقى مصادفة بسوست في فندق هوايت كروس ببلدة ايستبورن في مساء اليوم الرابع والعشرين من يوليو الماضي ، أي في ليلة وقوع جريمة بكسهيل . ولما رآه وحيداً بائسا ، اشفق عليه ، وراح يتحدث معه .

وبعد طعام العشاء ، لعبا معاً الدومينو . ويبـدو أن ذلك المدعو سترانج من هواة هذه اللعبـة ، وقد أدهشه وسره أن يجد في سوست غريماً بارعاً . وقد أقسم مرات عديدة انهما ظلا يلعبان ساعات طوالاً متوالية ، وأنهما لم يفرغا من اللعب إلا في منتصف الليل . ولهذا فهو قد أقسم مرات ومرات بكل مقدس أن سوست لا يمكن أن يكون مرتكب جريمة بكسهيل ، لأنه كان موجوداً معه في ايستبورن حتى آخر لحظة من الساعة الثانيـة عشرة مساء اليوم الرابع والعشرين . وقد ثبت طبياً أن الجريمة ارتكبت في هذه الساعـة . فكيف استطاع سوست أن يكون موجوداً في مكانين مختلفين وفي وقت واحد ، لا سيما أن المسافة بين البلدتين أربعة عشر ميلا ؟ .

فقال بوارو :

– هذه مسألة تستحق التفكير والتأمل .

فهز كروم كتفيه ، وقال :

– حتى لو ظل ذلك المدعو سترانج على شهادته ، فلا تزال لدينا جريمـة دونكاستر بما فيها من السكين الملوثة بالدماء ، وكم المعطف الذي كان يغسله في الحوض .. انه لن يستطيع أن يجد في هذه الجريمة ثغرة واحدة ، ثم هنـاك جريمة منيزستون ، ثم اندوفر .. ان هذه الجرائم الثلاث الثابتة عليه تدل على انه مرتكب الجريمة في بكسهيل مهما أقسم وأصر سترانج على شهادته .

وقال جاب :

– ان مهمتك يا مسيو بوارو أن تبين لنا كيف يمكن التوفيق بين اصرار سترانج على شهادته ، وبين ارتكاب سوست لجريمة بكسهيل .

وبعد انصراف المفتش ، قلت لبوارو :

– ما رأيك في هذا كله ؟

– وما رأيك أنت يا هاستنج ؟ . أتعتبر الموضوع منتهياً ؟

– أعتقد هذا ، لأن الرجل قد وقع أخيراً ، والأدلة متوافرة إلى حد مذهل

– انني شخصياً لا أعتـــبر الموضوع منتهياً حتى أعرف كل شيء عن ذلك الرجل .

– لقد عرف عنه الشيء الكثير .

لا ، لا   لم يعرف عنه في الواقع شيء ، عرفنا أين ولد ، حقاً ، وانه اشترك في الحرب العالميـة الأخيرة ، وانه جرح في رأسه وأعفي من الخدمة بسبب داء الصرع . ونعرف انه أقام سنتين في غرفة مفروشة بمسكن المسز ماربري ، وانه كان دائماً هادئاً ، منعزلاً ، من النوع الذي لا يشعر به أحد ، ونعرف أنه وضع خطة هذه السلسلة من الجرائم وأحكم تنفيذهـا ، وانه في النهاية أرتكب عدة أخطاء عجيبة لا يرتكبها أي مبتدىء في عالم الجريمة ، ونعرف أيضاً انه لم يحاول أن يتهم أحداً بارتكاب هذه الجريمة . كما تعرف في الوقت نفسه انه كان يقتل ضحاياه بلا رحمة أو شفقة . أترى يا هاستنج مبلغ المتناقضات في شخصيته ؟. داهية وأبله ، عطوف وقاس لا يرحم ، هادىء منعزل وجبار سفاك .. هذه المتناقضات كلها لا بد أن يكون لها عامـــل أساسي يربط بينها !

– اذا كنت تريد أن تحلل نفسيته على هذا النحو ، فلا شك .

فقاطعني بوارو وقال :

– لا ، لا . انني في الواقع لا أكاد أعرف عن حقيقته شيئاً .

– لعل شهوة القتل .

– أجل .. أن هذا الحافز يفسر الشيء الكثير ، ولكنه لا يقنعني . فهناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها عن يقين ، مثلاً : لماذا ارتكب هذه الجرائم ؟

ولماذا اختار هؤلاء الناس بالذات ؟

– لأن اسماءهم مرتبة بالحروف الهجائية ..

– هل كانت بيتي بارنارد مثلاً الفتاة الوحيدة في بكسهيل التي يبدأ اسمها بالحرف «ب» . آه .. لقد خطرت لي فكرة .. لا بد أنها فكرة صائبة ، بل

يجب أن تكون فكرة صائبة !

ثم استغرق في تفكير عميق حتى ظننته نائماً .. ويبدو انني الذي نمت ، لأني لم ألبث أن تنبهت على يده وهي تربت على كتفي ، وعلى صوته وهو يهتف بي قائلاً

– يا عزيزي هاستنج ، يا ملهمي العبقري .

ونظرت اليه في ارتباك لهذا التقدير المفاجيء والاعجاب غير المنتظر أما هو فقد استمر يقول .

– انك تميمة الحظ لي يا هاستنج . انك دائماً الذي تلهمني بأول ضوء ينير لي السبيل .

فسألته قائلاً :

– وكيف ألهمتك هذه المرة ؟

– بينما كنت ألقي على نفسي بعض الأسئلة ، تذكرت ملاحظـة سمعتها منك .. ملاحظة وضيئة ملهمة ، ألم أقل لك ذات مرة انك عبقري في ملاحظة الأشياء الواضحة ، وهي نفس الأشياء التي كثيراً ما تفوتني ملاحظتها .

– وما هي ملاحظتي الملهمة الوضيئة هذه ؟

– نعم . ملهمة، ووضيئة ، لانها أوضحت لي كل شيء . انني الان أعرف الاجابة على جميع اسئلتي ، أعرف السبب الذي من أجله قتلت المسز آسكر ، – وان كنت أعرف هذا السبب منذ مدة – والسبب الذي من أجله قتل السير سير ميكال كلارك ، والسبب الذي من أجله وقعت جريمـــة دونكاستر ، وأخيراً وهذا هو المهم ، لماذا وقع الاختيـار على هيركيول بوارو بالذات لارسال تلك الرسائل اليه .

– هل تسمح وتشرح لي الأمر ؟

– لا ، ليس الآن . أريد أولاً أن أجمع بعض المعلومات . وربما استطعت جمعها من فرقتنا الخاصة ، ثم ، بعد أن أعرف الاجابة على سؤال معين ، سوف

أذهب لزيارة صاحبنا ا. ب. س. لسوف أقف معه وجهاً لوجه ، ا. ب. س. أمام هيركيول بوارو .

– وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك سنتحدث .. وتأكد يا هاستنج أن الحديث من أخطر الاسلحة التي تكشف عن مكنونات الصدور .. ان الحديث – كما قال لي فرنسي عجوز ذات مرة – من الضروريات التي اخترعها الانسان لتخفف عنه كثرة التفكير . والانسان يا هاستنج لا يستطيع أن يقاوم عملية كشف نفسه والافصاح عن حقيقة شخصيته عن طريق الحديث . وكلما زاد من الحديث ، ازدادت شخصيته وضوحاً .

وهنا قلت له :

– ماذا تنتظر أن يقول لك سوست ؟

فابتسم بوارو وقال

– كذبة . وعن طريق هذه الكذبة ، سأعرف الحقيقة .

الفصل السادس عشر

في بكسهيل

ظل بوارو مشغولاً بضعة أيام. فكان يختفي ساعات طوالا ،ثم يظهر فجأة ، ثم يستغرق ساعات اخرى في تفكير عميق، كل هذا دون ان يدعوني للذهاب معه أو يشركني في أفكاره .

وبالقرب من نهاية الأسبوع ، اعلن عن رغبته في الذهاب الى بكسهيل وما يجاورها ، ثم اقترح ان اذهب معه . وبطبيعة الحال رحبت بالاقتراح

وتبين لي ان هذه الدعوة لم تقتصر علي فقط ، وانما شملت « الفرقة الخاصة » أيضاً .

وذهبنا الى بكسهيل ، وزار بوارو أولا المسز والمستر بارنارد حيث عرف من السيدة الموعد الذي حضر فيه سوست اليها لبيع جواربه ، وماذا قال لها على وجه التحديد ، ثم ذهب الى الفندق الذي كان سوست قد نزل فيها ، وعرف الموعد الذي رحل عنه بالتحديد. ورغم انني لم اجد في هذا كله جديداً إلا ان بوارو بدا لي شديد الرضا .

وذهبنا بعد ذلك الى الشاطىء . الى المكان الذي قتلت فيه بيتي بارنارد ، وهناك راح بوارو يسير حوله في دوائر ، ولم أجد أنا في هذا كله جدوى .

لا سيما ان المدكان يغمز المكان اكثر من مرة في اليوم .

وانتقل من الشاطىء الرميلي بعد ذلك الى اقرب مكان يمكن ان تقف فيه سيارة خاصة ، ثم مضى الى الموقف الذي تبدأ منه السيارات العامة رحيلها الى ايستبورن .

وأخيراً ذهبنا جميعاً الى منهى جنجركات ، حيث شربنا اقداحاً من الشاي قدمتها الينا ميللي هيجلي

ولشد ما أدهشني ، ان رأيت بوارو يداعب المس هيجلي ويتغزل في جمال ساقيها ، قائلا ان جمال الساقين في الفتيات الانجليزيات شيء نادر .

وضحكت هي ابتهاجاً . وأكدت له انه « فرنسي » لطيف .

وقال بوارو أخيراً :

- لقد انتهيت من بكسهيل ، ولم يبق أمامي غير زيارة لايستبون ، ولا حاجة بكم لأن تصحبوني .. والآن هلم نعود الى الفندق لنتناول بضع كؤوس من الكوكتيل ؟

وعلى مائدة الشراب ، قال فرانكلين كلارك :

- اعتقد انك تريد ان تحطم شهادة ذلك المدعو سترانج . أليس كذلك؟

- صبرا يا صديقي ، صبرا ..

- يبدو لي يا سيد بوارو انك راض عن نفسك جداً .

- نعم ، نعم لأن فكرتي الصغيرة بدأت تتبلور الى حقيقة أكيدة .

ثم ارتسمت امارات الجد على وجهه ، وقال فجأة .

- حدثني صديقي هاستنج ذات يوم انه كان يحب - وهو شاب لعبة اسمها « لعبة الحقيقة » ومؤداها ان يوجه الى كل فرد من مجموعة اللاعبين ثلاثة اسئلة عليه ان يجيب - بصدق - على اثنين منها ، ويمكنه ان يرفض الاجابة على السؤال الثالث والاسئلة في هذه اللعبة تكون بطبيعة الحال بعيدة عن الخصوصيات المحرجة ولهذا يستلزم ان يقسم كل لاعب على قول الحقيقة ، ولا

شيء غير الحقيقة .

ولما وقف عن الحديث برهة ، قالت ميجان بارنارد :

ـ حسناً !

ـ آه ، أريد ان نشترك في هذه اللعبة معاً ، ويكفي ان يوجه إلي كل واحد منا سؤال واحد فقط بدلا من ثلاثة .

وقال فرانكلين كلارك في ملل :

ـ اننا على استعداد للاجابة على أي سؤال .

ـ آوه .. ولكن الأمر أخطر من هذا هل انتم على استعداد للقسم ؟

ولما كان الجد واضحاً في صوته ، فقد دهشنا جميعاً ، ولم يسعنا إلا أن نقسم . الواحد بعد الآخر ، على قول الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شيء غير الحقيقة .

وقال بوارو مسرورا :

ـ عظيم جداً .. لنبدأ الآن .

وقالت تورا جراي :

ـ فلأن أنا الأولى ..

ـ آه ! السيدات اولا .. ولكننا سنخالف هذا التقليد في هذه المرة .

ثم التفت الى فرانكلين كلارك ، وقال :

ـ ما رأيك في القبعات التي ارتدتها السيدات في سباق اسكوت هذا العام ؟

ـ هل أنت جاد في هذا السؤال يا مسيو بوارو ؟

ـ أجل ...

ـ رأيي انها قبعات مثيرة للسخرية والضحك .

ـ عجيبة ، شاذة ؟

ـ أجل . .

— وأنت يا مستر دونالد فريزر . متى قمت بأجازتك السنوية هذا العام ؟

— اجازتي السنوية ؟ في الاسبوعين الأولين من شهر أغسطس ..

والتفت بوراو فجأة الى تورا جراي وقال :

— لو ان السير سيرميكال كلارك عرض عليك الزواج بعد وفاة الليدي زوجته ، فهل كنت تقبلين ؟

فوثبت الفتاة غاضبة ، وهتفت قائلة :

— كيف تجرؤ على توجيه سؤال كهذا الي ؟ انه أهانة .

— ربما .. ولكنك اقسمت على ان تقولي الحقيقة .

— كان السير سيرميكال شديد العطف علي وكان يعاملني كأبنته ، وهكذا كان شعوري نحوه ..

— عفواً يا انسة .. ولكنك لم تجيبي على سؤالي بلا أو نعم .

— لا .. طبعاً !

— شكراً جزيلا .

والتفت بوارو الى ميجان التي كان وجهها شديد الشحوب ، ثم قال :

— اخبريني يا انسة .. هل تتمنين حقاً أن تنتهي تحرياتي بالكشف عن الحقيقة كلها ؟

— لا ...

وابتسم بوارو ، وقال :

— انك لا تريدين ظهور الحقيقة ، ومع ذلك فانت من أشد انصارها يا آنسة .

ثم التفت الى ماري دروار ، وقال :

— أخبريني يا انيستي .. هل لك حبيب شاب ؟

وفوجئت الفتاة المسكينة ، واضطرم وجهها ثم تمتمت :

- انني . انني لست واثقة إذا كان يبادلني الحب ام لا

فابتسم بوارو ، وقال :

- هذا يكفي يا ابنائي .. والان ، هلم يا هاستنج إلى ايستبورن .

* * *

وفي الطريق الى ايستبورن ، قلت لبوارو :

- هل يمكن أن القي عليك بعض الاسئلة يا بوارو ؟

- لا يا هاستنج .. عليك ان تصل الى النتائج بمفردك

ثم استغرق في سكون عميق ..

وبعد فترة وجيزة ، أفاق وقال لي :

- غداً سوف أزور ذلك المدعو سوست .

ثم أضاف قائلاً للسائق :

- عد بنا الى لندن ..

فهتفت قائلا :

- ألن تذهب الى ايستبون ؟

- ما الداعي الى هذا ؟ لقد عرفت ما يكفي للوصول الى الحقيقة .

الفصل السابع عشر

الكسندر بونابرت سوست

لم أحضر المقابلة التي تمت بين هير كول بوارو ، والمدعو الكسندر بونابرت سوست لأن القاضي لم يصرح بزيارته إلا لبوارو فقط .

ولكنني سأسرد فيما يلي تفاصيل ما دار بينهما بدقة كاملة بناء على حديث بوارو معي بعد ذلك .

لقد بدا سوست منكمشاً على نفسه ، ولاح كأنما ازداد جسمه انحناء ، وهو لا يكف عن العبث بأصابعه في أطراف معطفه .

ومرت برهة طويلة – كما أخبرني بوارو دون أن ينطق أحد بكلمة ، وإنما جلس الاثنان كل في مواجهة الآخر في هدوء واسترخاء

وقال بوارو أخيراً بصوت رقيق :

– أتعرف من أنا ؟

فهز الرجل رأسه ، ورفع وجهه الى بوارو ، وقال وهو يطرف بعينيه :

– لا ... لا أعرفك ... هل انت أحد المحامين في مكتب المستر لوكاس ؟

– إنني هير كول بوارو ..

وحرص بوارو على ان يلاحظ بدقة تأثير هذا الاسم على الرجل . ورفع هذا وجهه مرة أخرى ، وتمتم ببساطة قائلاً :

- آه . نعم .

وبعد لحظة ، عاد يقول بصوت ينم على الانفعال وكأنما بدأ يتذكر :

– آه ، المسيو بوارو .. هير كيول بوارو !

– انني الرجل الذي كنت تبعث اليه برسائلك

فجأة أغضى المستر سوست بعينيه ، وقال باضطراب :

- انني لم أكتب اليك أبداً .. هذه الرسائل لم أكتبها أنا .. هذا ما قلته كثيراً طوال جلسات التحقيق .

- أعرف هذا . ولكن إذا لم تكن انت كاتبها ، فمن يكون ؟

– أحد الأعداء .. لا بد ان لي عدواً .. ان الناس جميعاً يعادونني وإلا أدري لماذا . انها مؤامرة ضخمة مدبرة ضدي . ولكن لماذا ؟

فصمت بوارو برهة ثم قال :

– هل كان الناس يعادونك حتى وأنت طفل ؟

– لا .. لا أظن .. كانت أمي شديدة الحب لي ، وكانت تركز كل آمالها الكبار في شخصي ، ويعتقد اني سأكون عظيماً يوماً ما .. ولهذا اسمتني الكسندر بونابرت ، وكأنما الاسم وحده يمكن أن يخلق من صاحبه شخصياً عظيماً . ولكنها كثيراً ما كانت تؤكد لي ان الانسان هو سيد مصيره ، وان في مقدوره ان يحدد مستقبله كما يشاء !

* * *

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

– ولكنها كانت مخطئة .. وهذا ما عرفته بنفسي ، لأني لم أكن من الاشخاص الذين يمكن ان يظفروا بمكانة رفيعة في الحياة . كنت دائماً أرتكب الحماقات التي تثير سخرية الناس مني .. وهكذا اصبحت خجولا ، خائفاً من الناس ، ولشد ما عانيت من سخرية زملائي في المدرسة من اسمي !

ومرة أخرى ، لزم الصمت فترة وجيزة قبل ان يردف قائلاً :

– وماتت أمي .. ماتت حزينة ساخطة ، والتحقت بالمعهد التجاري ، وتخرجت فيه متخلفاً عن جميع زملائي ، وانا إذا كنت أبدو أمام الناس غبياً ، إلا أنني في الواقع لست غبياً !

– إنني ادرك هذا . استمر .

– واشد ما كنت أتألم كلما رأيت الناس ينظرون إلي على اني انسان غبي متخلف أبله ، وقد ازداد شعوري بالألم أثناء التحاقي بالعمل كاتباً في إحدى الشركات .

وأشرق وجه سوست فجأة ، حين استطرد يقول :

– ولكني استمتعت بالفترة التي قضيتها بين زملائي الجنود في الحرب ، لأني وجدت نفسي فجأة في مستوى واحد معهم . ولكنني للأسف أصبت بجرح في رأسي ، فسرحت من الخدمة العسكرية لأني أصبت بسبب ذلك الجرح – بداء الصرع ، والواقع انني لا أعرف على وجه التحديد ماذا دهاني ، فأحياناً أقوم بأعمال على غير وعي مني !.

– وبعد ذلك ؟

– اشتغلت كاتباً في شركة .. ولكنني لم أحسن القيام بعملي ، فكان زملائي يتخطونني في الترقيات ، وأصبح مرتبي لا يكاد يكفي ضرورات

الحياة ، لا سيما بعد الارتفــاع الجنوني في الأسعار .. ولهــذا السبب رحبت بالعمل كمندوب متجول لمصنع جوارب نسائية ، نظير مرتب ثابت وعمولة على البيع

وهنا قال بوارو برفق :

– ولكنك علمت أن أصحاب المصنع ينكرون أنهم عهدوا اليك بعمل كهذا .

فقال سوست ، وقد عاوده الاضطراب :

– لأنهم مشتركون في هذه المؤامرة .. وان معي أدلة مكتوبة .. معي رسائل مرسلة من ادارة المصنع فيها التعليمات عن الأماكن التي يجب أن أذهب اليهم وأعرض عليهم الجوارب

– إن هذه الرسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة .

– طبعاً .. لأن إدارة مصنع كهذا لا بــد أن تكتب رسائلها على آلة كاتبة .

– ألا تعــرف أن في الامكان معرفــة نوع الآلة التي كتبت هــذه الرسائل ؟

– طبعاً . هذه مسألة بديهية .

– لقد ثبت ان هذه الرسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة التي وجدت في غرفتك .

– إن هــذه الآلة أرسلتها إدارة المصنــع لي ، عنــد بدء التحــاقي بالعمل .

– أجل . ولكن هذه الرسائل ارسلت اليك بعد استلامك الآلة . ومعنى هذا انك كتبت عليها الرسائل وأرسلتها الى نفسك .

لا ، هذا لم يحدث .. إنها جزء من المؤامرة !

– ومجموعة كتب دليـــل ا. ب. س. للسكة الحديدية التي وجدت في غرفتك ؟

– لا أعرف عنها شيئاً ، لقد ظننت انها لفـــافة تحتوي على علب جوارب

– لماذا وضعت علامة المسز آسكر في أندوفر ؟!

– لأني قررت أن أبدأ عملية البيع معها..ان على الانسان ان ينظم أعماله، ويحدد مرحلة البدء .

ثم أردف قائلاً في انفعال شديد :

– انها مؤامرة دنيئة ضدي . وليس أدل على ذلك من وجودي في ليلة جريمة بكسهيل ، في مكان بعيد .. في ايستبورن حيث كنت العب الدومينو مع المسز سترانج .

فهز بوارو كتفيه ، وقال :

– من السهل أن يخطىء الانسان في التاريخ ، لا سيما اذا كان الخطأ في تاريخ يوم واحد إن رجلاً عنيداً مثل سترانج يرفض ان يعترف بخطئه مهما تكن الظروف ، ومن السهل عليك ان تكتب في سجل الفندق تاريخ يوم سابق أو لاحق على يوم الجريمة دون ان يفطن احد الى هذا !

– لقد كنت العب الدومينو في تلك الليلة ..

وفجأة هتف الرجل قائلاً في ألم :

– آه .. لقد عاودتني نوبة الصداع .. انـه مؤلم .. مؤلم . إنـه يجعلني في بعض الأحيان لا أدري ماذا أقول أو أفعل .

وانحنى بوارو نحوه فجأة ، وقال :

– ولكنك تعلم انك ارتكبت هذه الجرائم . اليس كذلك ؟

ورفع المستر سوست وجهه ، وبدت نظراته هادئة بسيطة .. وكأنما قـد

تلاشت من نفسيته كل رغبة للمقاومة .. وأخيراً قال :

– نعم . أعلم !

– وأنا على حق في قولي انك لا تعرف لماذا ارتكبت هـــذه الجرائم اليس كذلك ؟

– نعم .. إني لا أعرف لماذا !

* * *

الفصل الثامن عشر

بوارو يكشف الحقائق

– كنا جالسين في اهتمام وترقب ، ونحن ننصت الى بوارو وهو يكشف لنا عن جميع الحقائق في جرائم « ا. ب. س. » .

قال :

– كان أهم ما يشغل فكري هو « لمـــاذا » ارتكبت هذه الجرائم .. نعم ، لمـاذا ارتكب المجرم هـذه الجرائم ؟ ولماذا اختـارني أنا بالذات للتحدي ؟ ولهذا يشهد صديقي هاستنج انني كنت مهتماً ومضطرباً عندما استلمت الرسالة الأولى ، لأني أحسست ان حقيقة الأمر أخطر مما يبدو في ظاهره .

وهنا قال فرانكلين كلارك في جفاف :

- وثبت انك كنت على حق في هذا الشعور يا مسيو بوارو

– نعم .. ولكنني أخطأت حين أهملت هذا الشعور القوي ، ونظرت اليه على انه نوع من الالهام او الاسراف في الخيال او التخمين ، وكلنا يخمن طبعاً ، والتخمين قد يكون صحيحاً أو خاطئاً . فـــاذا كان صحيحاً سمي إلهاماً ، وإذا كان خاطئـــاً أهمل أمره . ولكن ما نسميه الالهـام ليس في الواقع الا شعوراً باطنياً قائماً على أساس من الخبرة والاستنتاج المنطقي .

فعندما يشعر أحد الخبراء بأن ثمة خطأ ما في لوحة تاريخية او قطعة أثرية أو توقيع على شيك ، فـان الشعور بالخطأ يـأتي نتيجة مجموعة كبـيرة من التفاصيل الصغيرة .. إنه في غير حاجة لأن يفحص هذه التفاصيل بدقة ، كل منها على حدة ، ولكن خبرتـه تجمع هذه التفاصيل ، وتجعـله يحس بالنتيجة ..

وصمت بوارو برهة قبل ان يستطرد قائلاً :

- وعلى هذا الأساس أحسست ان شيئاً ما خطيراً يكمن وراء تلك الرسالة الأولى . ولكن إدارة اسكتلانديارد سخرت منها ، وقالت انها مجرد دعابة ثقيلة من أحد الفارغين التافهين . ولم يلبث حادث أندوفر ان أثبت اني كنت على حق في ذلك الشعور الخفي

ولم أعرف بطبيعة الحـال المجرم الذي ارتكب هذه الجريمة .. وهكذا أوجب علي أن أحاول التعرف عليه من دلالات الرسالة وطريقة ارتكاب الجريمة ، وشخصية المجني عليها .

ولكن أهم من هذا كله هو أن أعرف « لماذا » ارتكبت هذه الجريمة ، ولماذا اختارني المجرم بالذات ليبعث الي برسالته !

فقال فرانكلين كلارك :

– رغبته في الشهرة والظهور !

وقالت تورا جراي

– لا شك ان الشعور بمركب النقص هو المبرر لهذه الجرائم .

– هذا هو التبرير الواضح . ولكن لماذا أرسل الي أنا ، أنا هيركيول بوارو؟ اذا كانت الشهرة بغيته ، فلماذا لم يبعث برسائله الى إدارة اسكتلانديارد او الى احدى الصحف ؟. انه لو فعل هذا لظفر بالمزيد من الشهرة ، ان كانت الشهرة بغيته حقاً . فلماذا إذن اختارني أنا بالذات؟ هل اختارني لأسباب شخصية؟ هذا ما لم أعرفه في حينه .

وصلت الرسالة الثانية التي أعقبها حادث مقتل بتي بارنارد في بكسهيل . وقد أثبتت لي هذه الجريمة ان المجرم ينوي ارتكاب الكثير من الجرائم طبقاً لترتيب الحروف الهجائية في أسماء عديدة . ولكنني مرة أخرى أقول ان السؤال المهم جداً ، ظل بلا جواب وهو لماذا يرتكب المجرم هذه الجرائم ؟

وهنا تململت ميجان بارنارد في جلستها وقالت :

– ألا يوجد شيء اسمه شهوة القتل ؟

– أجل يا آنسة .. يوجد شيء اسمه شهوة القتل فعلاً . ولكن هذه الشهوة إذا استبدت برجل ما ، والعادة ان يكون مجنوناً ، فانها تدفعه الى القتل بالجملة ، الى قتل أكبر عدد من الناس . وأهم ما يشغل بال مثل هذا القاتل هو تغطية كل أثر ينم عليه ، لا ان يعلن عن الجرائم مقدماً بمثل هذه الرسائل . ثم لماذا كان يحرص على أن يترك مع كل جثة دليل « ا . ب س . » للسكة الحديدية ؟ لقد كان في مقدوره ان يرتكب هذه الجرائم خفية ، تاركاً عبئها يقع على أشخاص يمكن الاشتباه فيهم ، مثل المستر آسكر زوج الضحية الأولى ، والمستر دونالد فريزر ، خطيب الضحية الثانية . وهكذا .

إذن لماذا حرص على ان يركز الاتهام على شخصه بالذات ؟ هل هو الدافع لأن يكون شهماً كريماً ؟ وهل يمكن أن تعرف الشهامة طريقها الى قلب قاتل كهذا ؟

وصمت بوارو برهة ، ثم استطرد يقول :

– على ان هناك معالم استطعت بها ان أعرف شيئاً عن عقلية المجرم ونفسيته ..

فقال فريزر :

– مثل ماذا ؟

- أولاً أدركت ان له عقلية جدولية .. لقد رأى أن من الأهمية بمكان أن يرتكب جرائمه حسب الحروف الهجائية لأسماء الضحايا . فلو لم تكن له عملية جدولية ، لما اهتم بأمر كهذا كل الاهتمام . ومن ناحية أخرى ، لم يكن له إحساس خاص نحو الضحايا .. فان المسز آسكر ، وبيتي بارنارد ، والسير سير ميكال ، يختلفون بعضهم عن بعض أشد الاختلاف . أي لم يكن في الموضوع عقدة جنس ، ولا عقدة سن معينة ، وهذا من الأسباب التي حيرتني كثيراً .

فالمجرم حين يعمد الى ارتكاب جريمة ما ، ولا سيما إذا كانت جريمة محكمة أشد الاحكام ، فانما يهدف بذلك الى إزاحة شخص ما يضايقه من الطريق . ولكن الحرص على ارتكاب هذه السلسلة من الجرائم ، حسب الترتيب الهجائي لأسماء الضحايا ، لا يتفق مع هذه النظرية ولكن هذه العقلية الجدولية قد تدل ، من جهة أخرى ، على كراهية متأصلة للحروف الهجائية .

وشيء آخر ، أسمح به لنفسي في ميدان الاستنتاج ، وهو ان اختيار دليل السكة الحديدية ينم عن طبيعة ذكرية ، لأن الأطفال الذكور هم الذين يحبون اللعب بأدوات السكك الحديدية ، كالقطارات والقضبان .. وما دمنا دخلنا في ميدان اللعب ، يمكن ان نقول ان للمجرم المجهول عقلية صبيانية !

والطريقة التي ماتت بها بيتي بارنارد ، قد أوحت الي باستدلال آخر .. ومعذرة يا مستر فريزر ، فان استعمال حزامها هي في قتلها دليل على أن القاتل كان على علاقة مودة ومداعبة معها . وأستطيع أن أتصور انه فك حزامها مداعباً ، ثم لفه حول عنقها مداعباً ، وهو يضحك قائلا : «هل أخنقك» وبينما هي تشاركه الضحك ، يكون هو قد بدأ في خنقها فعلا .

ونحن نعرف الآن ان بيتي كانت فتاة تحب الغزل ، وتميل الى الرجل الوسيم

الذي يعرف كيف يجذبها بشخصيته اللطيفة.. وفي هذه الحالة ينبغي أن يكون القاتل شخصاً جذاباً للنساء بصفة عامة !

وهنا حاول دونالد فريزر أن يحتج ، ولكن بوارو أسرع يقول :

– انتهينا من هذه النقطة يا مستر فريزر . ولننتقل الى الجريمة التالية .. الى مصرع السير سيرميكال وهنا نجد المجرم يعود الى طريقته الأولى .. الضرب على الرأس . وهنا أيضاً نجد عقدة الأحرف الهجائية واضحة..ولكن جريمة سيرستون هذه لم تزودني إلا بالقليل جداً من المعالم ، لأن الرسالة التي أرسلت الي أخطأت طريقها في العنوان مرتين حتى وصلتني متأخرة ، أي بعد وقوع الجريمة .

ولكن عندما أعلن المجرم عن جريمة « د » اتخذ رجال المباحث إجراءات ضخمة ، وظهر واضحاً ان المجرم لن يستطيع الافلات هذه المرة من العدالة . وفي الوقت نفسه كنا قد علمنا ان القاتل يبيع الجوارب النسائية لحساب مصنع ما ، ولكنني في الحقيقة لم أكن أتوقع ان يكون على ذلك الشكل الذي وصفته به المس تورا جراي، لأن هذا الشكل لم يكن يتفق مع الصورة التي تخيلتها عنه ليكون هو قاتل بيتي بارنارد !

وننتقل الى المراحل التالية بسرعة .. لقد ارتكبت جريمة رابعة . وكان المجني عليه في هذه المرة رجلا يدعى جورج ايرسفيلد .. وقد افترضنا ان القاتل حسبه رجلا يدعى داونز ، على نفس الشكل والحجم ، وكان يجلس بجانب المجني عليه في السينما .

وهنا تدور أخيراً عجلة الحظ ضد القـــاتل .. وهكذا تنتهي الأمور بمطاردته ، ثم القبض عليه . وتعتبر القضية – كما قال هاستنج – منتهية . وأعتقد ، أنها بالنسبة للرأي العام ، وللجميع ، منتهية أيضاً ، لأن القاتل في السجن ينتظر صدور الحـكم عليه . ولكن في هذه القضيـة تظهر ثغرة

بسيطة مزعجة ، وهي شهادة المدعو سترانج عن ليلة وقوع الجريمة الثانية في بكسهيل .

وقال فرانكلين كلارك عندئذ :

– نعم .. هذه ثغرة واضحة تحتاج إلى تفكير عميق !

فأومأ بوارو برأسه ، وقال :

– تماماً يا مستر كلارك وهذا التفكير العميق يجعلنا نفترض مثلاً أن قاتل بيتي بارنارد ليس المستر سوست ، وإنما شخص آخر انتهز فرصة هذه الضجة ليرتكب هذه الجريمة ، وهو مطمئن الى انها ستضيع بين سلسلة الجرائم الأخرى التي يرتكبها مجرم « ا ب. س. » . هذه نظرية معقولة ، وتؤيدها السوابق التي حدثت في جرائم « جاك السفاح » .

ذلك ان كثيراً من المجرمين انتهزوا تلك الفرصة وراحوا يقتلون بطريقة « جاك السفاح » ليلقوا تبعة هذه الجرائم عليه .

ويزيد من تأييد هذه النظرية ان الرجل الذي استطاع ان يجتذب بيتي اليه ثم يقتلها ، لا بد ان يكون رجلاً جذاباً له طريقته الخاصة مع النساء . وهذه الصفات غير متوفرة في المستر سوست .

ولكن يمكن ان نهدم هذه النظرية من أساسها بقولنا إن جريمة أندوفر – اي مقتل المسز آسكر – كانت تبدو للرأي العام جريمة عادية لا تدل على انها الأولى في سلسلة من الجرائم ، لأننا لم نذكر للصحف أية تفاصيل عن رسائل القاتل الي . او عن وجود دليل السكة الحديدية بجانب الجثة . ومعنى هذا ان قاتل بيتي بارنارد لم يكن يعلم ان هناك سلسلة من الجرائم في طريقها الى الحدوث .

وهنا وجدت نفسي أمام عقدة لا أعرف لها حلاً .. ولكنني في الوقت نفسه ، كنت أشعر أن هناك شيئاً خطيراً في الرسائل التي كانت تصلني . كنت أشعر نحوها بشعور الخبير الفني أمام لوحة مزيفة . إنه يشعر ، بخبرته

وعقله الباطن انها مزيفة ، ولكنه لا يدري لماذا ؟ ومن ثم عدت أفحص هذه الرسائل وأعيد قراءتها ، حتى أدركت أخيراً سر شعوري الغامض نحوها !

وهنا قال فرانكلين كلارك باهتمام :

– وما هو هذا السر يا مسيو بوارو ؟

– شعرت إن هذه الرسائل لم يكتبها رجل مجنون كما ظننا جميعاً ، وإنما كتبها رجل عاقل يتمتع بذكاء خارق للعادة .

فهتفت انا قائلاً في دهشة :

– ماذا ؟!

– نعم ، يا عزيزي هاستنج .. إن كاتب هذه الرسائل أراد أن يجعلها تبدو كأنما هي مكتوبة بيد رجل مجنون . بينما الأمر في الحقيقة غير هذا !

فقال فرانكلين كلارك :

– إن هذا غير معقول يا مسيو بوارو !

– حسناً ! لنفكر ملياً في الأمر .. ما هو الهدف من كتابة هذه الرسائل ؟ الهدف هو تركيز الانتباه على كاتبها · لتركيز الأنظار على الجرائم !

وبدا لي ان تركيز الانتباه على المجرم والجرائم لا معنى له . وفجأة وضح الأمر أمامي .

وضح لي ان الغرض هو تركيز الانتباه على عدد من الجرائم .. على مجموعة من الجرائم .

ألم يكن شكسبير هو القائل « انك لا تستطيع ان ترى شجرة في وسط غابة أشجار » ، وهذا يعني ان الانسان لا يرى دبوساً معيناً بين مجموعة دبابيس ، ولكنه يراه اذا كان مفرداً .

وهـذا أيضاً يعني ان الجريمة الواحـدة تكون مكشوفـة ، والدافع اليها يبدو واضحاً ، أما إذا كانت بين مجموعة من الجرائم التي لا يعرف أحد لها حافزاً أو باعثاً معيناً ، فانها تتوه أو تضيع بينها !

ووجدت نفسي اواجه مجرماً خارق الذكاء .. مجرماً داهيـــة ، قاسياً ، جريئاً ، له طبيعة المغامر المحترف . وهذه الصفات كلها لا تنطبق على المستر سوست بأية حال من الأحوال .. انه ببساطة ليس الرجل الذي يرتكب كل هذه الجرائم بمثل هذه الاحكام .

أما المجرم الحقيقي فهو رجل مختلف تماماً .. رجـــل له مزاح صبياني « يدل عليه الترتيب الهجائي ودليل السكة الحديدية » رجل جذاب للنساء ، ولا يهتم كثيراً بالنفس الانسانيـة ، وله مصلحة خاصة أكيـدة في جريمة من هذه الجرائم .

إذا وقعت جريمة ما . فماذا يخطر ببال المحققين لأول وهلة ؟ انه البحث عن الدافع على القتل ، ومعرفة أين كان الذين يدور حولهم الاشتباه ، ومن هم الذين سينتفعون من وراء ارتكاب هذه الجريمة .

فاذا كان الدافع إلى القتل واضحاً جداً ، فان المشتبه في أمره عندئذ – أي المجرم الحقيقي – يبذل قصارى جهده ليقيم الدليل على انه كان بعيـداً عن مسرح الجريمة عند وقوعها ، ولكن هذا الجهد كثيراً ما ينكشف أمره ، وكثيراً ما يكشف التحقيق بطلان الأدلة التي يمكن أن يسوقها المجرم لاثبات براءته . ولهذا كله رأى مجرمنا أن يحصن نفسه بسد منيع من الأدلة ، ففكر في هذه السلسلة من الجرائم التي تبدو في أنظار الجميع انها جرائم مجنون تطغي عليه شهوة القتل !

وما علي الآن إلا أن أستعرض هذه الجرائم المختلفـة لأهتـــدي من ورائها الى الأشخاص الذين يمكن أن يدور الاشتباه حولهم ، ثم أحاول أن أركز الاتهام كله في شخص واحد بينهم يكون هو صاحب مصلحة أساسية

في ارتكاب جريمة منها ، ثم ارتكب الجرائم الباقية لتضيع الجريمة الأصلية بينها .

ولنبدأ بجريمة اندوفر !

ان أول شخص يمكن أن نشتبه فيه هو فرانز آسكر زوج المجنى عليها . ولكن شخصية آسكر لا تدل اطلاقاً على أن في مقدوره تدبير وتنفيذ هذه السلسلة من الجرائم .

فلننتقل إذن الى جريمة بكسهيل ، والأشباه فيها يدور حول المستر دونالد فريزر .. انه شاب ذكي له عقلية رصينة مدبرة ، يمكن أن تضع خطة محكمة لمثل هذه السلسلة من الجرائم .

ولكنني عرفت انه نال اجازته السنوية في الاسبوعين الأولين من شهر أغسطس ، وهذا لا يتيح له اطلاقاً أن يرتكب الجريمة الأولى ، أو الجريمة الثالثة في سيرستون ، ثم لماذا يرتكب جريمة بكسهيل . بدافع الغيرة ؟ انه مبرر ضعيف لاسباب كثيرة ، إذ لم يثبت بصفة قاطعة أن بيتي أمعنت في خيانته امعاناً يدفعه الى قتلها ، ثم انها لم تكن زوجته .. وحتى لو كانت كذلك ، لما ارتكب هذه السلسلة من الجرائم الانتقام من فتاة يمكن أن يفترق عنها ببساطة كما يفترق أي خطيب عن خطيبته . لا . ان الغيرة في هذه الحالة لا تبرر اطلاقاً ارتكاب هذه السلسلة من الجرائم .

ومن ثم ننتقل الى الجريمة الثالثة ..

وهنا نجد انفسنا واقفين على أرض من الحقائق الواضحة والمبررات القوية . فقد كان السير سيرميكال كلارك رجلاً واسع الثراء . فمن الذي سوف يرث هذه الثروة الطائلة بعد وفاته ؟ . زوجته التي من حقها أن تستمتع بالثروة اثناء حياتها ثم تنتقل بعد ذلك إلى أخيه فرانكلين كلارك ؟ كلنا نعرف أن الزوجة في حالة احتضار بطيء الآن .

واستدار بوارو ببطء حتى تلاقت نظراته بنظرات فرانكلين كلارك ، ثم استطرد قائلاً :

- كنت واثقاً عندئذ أن ذلك الشخص الذي طالما فكرت فيه على انه صاحب رسائل ا. ب. س. ليس أحداً سوى فرانكلين كلارك .. انه الشخصية المغامرة التي طافت كثيراً خارج البلاد ، والذي يتمتع بجاذبية خاصة للنساء تجعل في مقدوره أن يتعرف ببساطة على أية فتاة جميلة في مقهى مثل الجنجركات ، وأن يتواعدا على اللقاء سراً ، انه الشخصية ذات العقلية الصبيانية ، كما قالت الليدي كلارك ، الذي يميل الى قراءة كتب المغامرات مثل كتاب « اطفال السكة الحديدية » للكاتب نيسبيت ، كما ذكر لي بنفسه انه كان يقرؤه المرة الثانية ..

نعم ، ان كل الصفات المتوفرة في كاتب تلك الرسائل كانت تنطبق تماماً على فرانكلين كلارك .

وضحك فرانكلين عالياً ، وقال :

- حقاً انك نابغة يا مسيو بوارو ! وماذا عن صاحبنا سوست الذي قبض عليه ودماء المجنى عليه في الجريمة الرابعة على كم معطفه . وعن السكين التي وجدت في مسكنه ؟ انه ينكر الجرائم الثلاث الأولى ، ولكن .

- انك مخطىء في هذا يا مستر كلارك .. لقد اعترف بارتكابه الجرائم كلها !

- ماذا ؟ اعترف ؟ أتقول اعترف ؟

- نعم .. اني ما أن فرغت من حديثي معه حتى أصبح يعتقد ، مجرد اعتقاد ، انه هو الجاني .

- ومع ذلك فأنت غير مطمئن ؟

- نعم . لأني ما أن رأيته حتى أيقنت تماماً ان هذا الرجل لا يمكن

ان يكون الجاني بأي شكـل .. ليست له الجرأة ، ولا الأعصاب ، ولا التفكير اللازم لتدبير وتنفيذ هذه السلسلة من الجرائم . ولكنني أدركت حين رأيته انه الشخصية التي اتخذها القاتـل الحقيقي ليختفي وراءهـا ، ثم يقدمها في النهاية للعدالة باعتبارهـا المجرم الحقيقي .. وكأنما لم يكفك يا مستر كلارك ان ترتكب هذه الجرائم كلها ، وإنما أبيت إلا ان تقدم عن نفسك كبش فداء !

وأعتقد ان الفكرة نبتت في ذهنك عندمـا التقيت مصادفة بالمستر الكسندر بونابرت سوست في أحد المقاهي . ولعـل اسمه العجيب لفت انتباهك ، ثم ازداد اهتمامك به حين رأيت شخصيته الواهنة الضعيفـة المـالة وكنت في ذلك الحين تستعرض في ذهنك مختلف الوسائل لقتـل أخيك .

ـ أحقاً ؟ لماذا ؟

ـ لأنك كنت شديد القلق على المستقبل كنت تخشى أن يتزوج اخوك بسكرتيرته تورا جراي ، بعد وفاة زوجته الليدي كلارك ، وينجب منها وريثاً لثروته ، لا سيما وقد كان أخوك محتفظاً بقوته وحيويته وفي هـذه الحالة تظل أنت طيلة حياتك شريداً مفلساً . وان خبرتك التي اكتسبتها من رحلاتك في الخارج ، ومن علاقاتك بالنساء جعلتك تدرك ان تورا جراي من النوع الصياد الذي يجري وراء الرجل الثري ، وهكذا قررت أن تبادر وتؤمن مستقبلك بالقضاء على أخيك قبل أن تموت زوجته ، وقبل أن تسنح له فرصة الزواج بتورا جراي .

ولما التقيت بالمستر سوست وعرفت اسمه الكامل ، بـدأت فكرة جرائم ا.ب س تتبلور في ذهنك ، لا سيما حين علمت انه مصاب بالصرع أيضـاً ، وبنوبات من الصداع المؤلم الذي يجعله كما قال لك ـ لا يكاد يشعر بما يقول أو يفعل !

واختمرت الفكرة في ذهنك وتبينت كل معالمها ، وقررت ان ترتكب سلسلة من الجرائم تضيع بينها جزيمة سيرستون ، على أن تكون اسماء الضحايا مطابقة لتسلسل الحروف الابجدية ، وهو التسلسل الذي أوحى به اليك اسم الكسندر بونابرت سوست . اي ا ب. س وان تجعل منه هو كبش الفداء !

وكان تدبيرك عجيباً محكماً إذ كتبت باسم ا.ب. سوست رسالة على آلة كاتبة عندك ، تطلب فيها من أحد المصانع كمية من الجوارب والملابس النسائية الداخلية ، وأعدت كمية من كتب دليل ا.ب. س للسكة الحديدية في لفافة تبدو كأنها لفافة تحتوي على علب جوارب وملابس داخلية نسائية ، وكتبت له هو رسالة على الآلة الكاتبة ، باسم المصنع ، تعرض عليه فيها مرتباً مجزياً وعمولة على البيع ، ثم كتبت على نفس الآلة مجموعة الرسائل التي نويت ان ترسلها إلي باسم ا ب. س ثم أرسلت الآلة الكاتبة نفسها الى سوست على اعتبار انها هدية من مصنع الجوارب اليه . وشرعت بعد ذلك تبحث عن ضحايا تبتدأ اسماؤهم بالأحرف ا ب. س . على ان يكون كل منهم مقيماً في بلدة يطابق الحرف الأول من اسمها الحرف الأول من اسمه .

وبدأت ببلدة اندوفر ، ووقع اختيارك على المسز آسكر حين قرأت اسمها بوضوح على اللافتة ، وحين رأيت انها امرأة عجوزاً وحيدة يمكن قتلها بسهولة .

أما الحرف « ب » فقد استلزم منك مناورة غرامية بارعة ، لكي توقع بيتي بارنارد في حبائلك ، ولكي تخرج معها للنزهة في أماكن بعيدة زاعماً لها انك رجل متزوج ، ولا تحب أن ينتشر أمر علاقتك بها !.

ولما تمت جميع تدبيراتك الأولية ، أرسلت إلي رسائل التحدي ، وأرسلت

الى سوست قبل كل جريمة ، باسم المصنع ، تعليمات تأمره فيها بالذهاب الى مسرح الجريمة في نفس يوم وقوعها ، بحجة بيع جوارب لسيدات معينات ذكرت له اسماءهن .. فمثلاً جعلته في صباح يوم ارتكاب جريمة اندوفر يذهب الى اندوفر ، ويبيع أو يعرض للبيع جوارب على المسز آسكر والمسز فاولر جارتها وبعض السكان الآخرين . وكذلك فعلت في كل من جريمة بكسهيل وسيرستون . طبعاً كان المسكين يذهب وهو خالي الذهن تماماً من الجرائم التي ترتكب باسمه ومن وراء ظهره وهكذا نجحت في ارتكاب جريمة اندوفر ، وفي ارتكاب جريمة بكسهيل .. ولكنني واثق تماماً انك قتلت بيتي بارنارد قبل منتصف ليل الرابع والعشرين من يوليو على سبيل ضمان النجاح .

وننتقل الآن الى الجريمة الثالثة .. الجريمة الهامة ، الأساسية ، التي أردت أن تجعلها تضيع بين هذه السلسلة من الجرائم . وهنا أشكر صديقي هاستنج الذي كان أول من لفت نظري الى عنواني الذي كتب خطأ عن عمد على مظروف الرسالة لكي يصلني متأخراً ، أي بعد وقوع الجريمة نعم . لقد تعمدت ان تكتب العنوان خطأ حتى تضمن ارتكاب الجريمة الثالثة الأساسية قبل أن يتدخل رجال المباحث في الأمر ، وهذا أيضاً يفسر اختيارك لي بالذات لكي تبعث بهذه الرسائل إلي. لقد اخترتني بالذات لأن في مقدورك انتكتب عنواني خطأ .. أما لو اخترت اسكتلانديارد أو احدى الصحف ، لما أمكنك أن تكتب العنوان خطأ .. وحتى لو كتبته ، فان أدارة البريد كانت سترسله فوراً الى العنوان الصحيح . والواقع ان هذا التفكير يدل على عقلية جبارة خارقة الذكاء !

وبعد نجاحك في ارتكاب الجريمة الثالثة التي أقامت الدنيا وأقعدتها ،رأيت أن تختم سلسلة الجرائم بجريمة رابعة تبعد بها كل اشتباه في أمرك ، وتجعلها

واضحة المعالم كثيرة الأخطاء بحيث تنتهي بالقبض على الفداء . وهكذا اخترت دونكاستر مسرحاً لها ، وحددت يوم الاحتفال بعيد سانت ليجير ، واخترت رجلا ، أي رجل ، كان في طريقه إلى السينما بعد ان رأيت سوست يدخلها ، وكنت تسير وراءه تتعقبه لتنتهز أول فرصة سانحة ترتكب فيها جريمة وتلقي بعبئها عليه .

وساعدك الحظ ، ودخلت وجلست على مقربة من سوست . ونهضت قبل نهاية العرض ، وسرت في طريق الخروج ، ثم تظاهرت بأنك تتعثر ، وبأن قبعتك وقعت على مقعد أمامي ، وأثناء استردادك لها طعنت الرجل الجالس بجوارها بالسكين في القلب تماماً .

ولم يكن يهمك أن يكون إسمه يبدأ بالحرف « د » أم لا ، لأنك كنت تعتقد أنه لا بد أن يكون بين المتفرجين رجل يبدأ إسمه بهذا الحرف فيظن الناس أنه كان هو المقصود ، ولكن المجرم أخطأه . وأياً كان الأمر فقد كان هدفك الأساسي هو أن ينكشف أمر الجريمة الرابعة وأن تثبت على المستر سوست ، ولهذا تعمدت أن تصطدم به عند الخروج من السينما حين انتهزت فرصة عدم الإضاءة الكاملة والزحام والاصطدام به من الخلف فمسحت نصل السكين أو جانب منها في كم معطفه ، ثم أسقطها في جيب المعطف

ويمكننا أن نتصور حالة المسكين سوست حين يعود إلى غرفته بالفندق فيجد الدماء على كمه والسكين في جيبه ، ثم حين يربط بين هذا كله وبين ما يقرؤه عن سلسلة الجرائم التي يرتكبها رجل يدعى ا. ب. س ، وحين يتذكر انه كان موجوداً في مسرح كل جريمة في نفس يوم وقوعها . لا شك ان الأمور اختلطت في عقله وخامره الشك في نفسه وفي انه ربما يكون قد ارتكب هذه الجرائم على غير شعور منه

ولكن .. مـاذا عن الرسائل ؟ إن المسكين يخرج من غرفته ، من

مسكن المسز ماربري في لحظة يأس ويمضي شارداً ، بلا مال أو هدف ولكن . إلى أين ؟ إن قدميه تقودانه بغير وعي إلى أندوفر . وهنـــاك وقف يتأمل دكان المسز آسكر الضحية الأولى ، ثم انصرف عنهـــا حيث فاجأته نوبة الصرع وهو يدخل مركز الشرطة . ولمـــا اعترف لي ، في لحظة يأس واستسلام للمصير بأنه ارتكب هذه الجرائم ، إزددت يقينـــاً من نظريتي .

وهنا قال فرانكلين كلارك :

- ان نظريتك هذه غريبة شاذة !

- لا يا مستر كلارك ! لقد كنت آمناً على نفسك لعدم وجود أدلة . أما الآن فقد توافرت الادلة على اتهامك !

- أدلة ؟!

- نعم .. لقد عـثرنا على العصا التي استعملت في جريمـة اندوفر وسيرستون وهي عصا عادية الشكل ، ولكن طرفها الأعلى مفرغ ومصبوب فيه رصاص عثرنا عليها في خزانة قديمة بقصر أخيك في بلدة سيرستون . وتعرف على صورتك ثلاثة من الذين كانوا في السينما ، وقالوا إنك كنت أحد الخارجين منها بعد انتهاء عرض الفيلم الذي وقعت اثناءه الجريمة الرابعـة . وتعرفت على صورتك ميللي هيجلي ، وفتاة أخرى تدعى سكارليت رانز في مشرب رودهاوس الذي جلست فيه مع بيتي بارنارد ، في ليلة الجريمة .

وأخيراً ، وهذا هو الأهم ، عثرنا على بصمة من بصمات أصابعك على الآلة الكاتبة التي وجدناها في غرفة المستر سوست . فلو إنك كنت بريئاً ، لما كان لك أي شأن بها .

الفصل التاسع عشر

الخـاتمـة

وساد الصمت برهة ، وفجأة قال فرانكلين كلارك :

– انني لست آسفاً على ما فعلت .. لقد كنت أريد ان اضمن مستقبلي .

ثم دس يده في جيبه ، وأخرج مسدساً صغيراً ، وضعه على جانب رأسه ..

ولكن بوارو كان له بالمرصاد ، فضربه على يده ، والقى بالمسدس بعيداً !

ودخل في تلك اللحظة إثنان من رجال اسكتلانديارد ، كانا في الغرفة المجاورة . والقيا القبض على فرانكلين كلارك !

والتفت بوارو نحوي باسماً . وقال :

– لقد خانه الذكاء أخيراً .. لأن الحقيقة لم نجد آثار بصمات لأصابعه على الآلة الكاتبة ، ولكنها حيلة قديمة أوقعته بها في فخ الاعتراف .

ونهضت تورا جراي شاحبة الوجه لتنصرف ، فقال لها بوارو :

– انني آسف يا مس جراي ، لقد طار العصفوران من يدك !

واندفعت إلى باب الخروج دون أن تجيب من فرط الغضب !

– أما أنت يا مس ماري دراور ، فأرجو أن تتأكدي من ان صاحبك يبادلك الحب قبل أن تتمادي في علاقتك به !

ثم ابتسم واردف قائلاً للشاب دونالد فريزر حين رآه ينهض ممسكاً بيد

ميجان بارنارد :

– لا تخجل يا مستر فريزر من مصارحة ميجان بحقيقة مشاعرك ، فالواقع إنها تبادلك الحب ، ولكن مأساة بيتي تقف عقبة في سبيلكما أذكر دائماً ان الحياة أقوى من الموت ، وان الحب أجمل ما في الحياة !

ثم قال بعد انصراف الجميع :

– أما المستر سوست المسكين فيجب أن أعرضه على طبيب عيون لكي يصنع له نظارة جديدة ، لأنني أعتقد أن صداعه المؤلم ناشيء من سوء حالة نظارته الطبية !

- تمت

